



دار (حمارتك العرجا)
للنشر الإلكتروني

سلسلة قصص قصيرة
(٩)

صفر على شمال الحب



قصص قصيرة

جمعة الفاخري

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني
طبعة أولى
مايو ٢٠١٥

جمعة الفاخري: صفر على شمال الحب، قصص قصيرة، ط1، مايو 2015

سلسلة قصص قصيرة (9)

صفرٌ على شمالِ الحبِّ

جمعة الفاخري

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

طبعة أولى

مايو 2015

جمعة الفاخري: صفر على شمال الحب، قصص قصيرة، ط1، مايو 2015

سلسلة قصص قصيرة (9)

سلسلة تصدر عن حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

المؤلف: جمعة الفاخري

العنوان: صفر على شمال الحب

التصنيف: قصص قصيرة [فن السرد، أدب عربي معاصر]

الطبعة الأولى: مايو 2015

تصميم الغلاف: المبدع محمود الرجبي

الناشر: حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني

دار نشر إلكترونية مجانية لا تهدف للربح

للمراسلة لنشر أعمالكم في السلاسل المختلفة التي تصدرها حمارتك العرجا، على إيميل

الدار باسم الدكتور جمال الجزيري:

hemartak@gmail.com

@2015 حقوق نشر النصوص ملك للكاتب، وحقوق هذه الطبعة الإلكترونية ملك لدار

حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني. وكل كاتب مسنول عن لغته وعن أسلوبه وعن محتوى

كتابه.

تقديم

حين يلج فضاء القصة كاتب بوجدان شاعر فهذا يعني لدى الناقد مسألة مفصلية تتمحور في احتمالين: إما أن تُستنزف الشخوص والأزمنة والأمكنة فتتحول القصة إلى خواطر شعرية، أو يعمد الكاتب إلى تفريغ اللغة من دلالتها القديمة ، ويستبطن خلجات الشخوص وأبعاد ودلالات الأزمنة والأمكنة بعمق القصيدة ما ينتج نصاً مغايراً، وأعتقد أن الشاعر القاص (جمعة الفاخري) في مجموعته القصصية (صفر على شمال الحب) قد حقق المعادلة الأخيرة، ذلك لأنه لم تسحره غنائية القصيدة فيسرقه الإيقاع بعيداً عن تعميق تلقائية الأداء والتجسيد الحي للشخوص وهي تعمل عملاً منتجاً للأثر العام ، ويمكننا أن نلتقط ذلك في تخريجات أوردتها على سبيل الاستشهاد كقوله (أحشاء الشارع) – (عن ظهر حب) كما استخدم (جمعة الفاخري) في مجموعته هذه عديد العناصر الفنية لبنية قصصه وهي عناصر أوجدتها الحالة الشعورية للحدث، فنجدته يستهل قصته التي حملت عنوان المجموعة بالتفجير حين يدخل النص من دون تمهيد اعتيادي تقليدي يفترض بدايةً وصفيةً يمكن أن تختزلها اللغة الشعرية

بومضة مشهدية أو مقتطف يضع المتلقي منذ المستهل في جوهر السؤال ليحفز ذاكرته على المشاركة الفعالة ، وهذا ما حدث ، كما نجد المونولوج الداخلي يستغرق أغلب النصوص فيختفي الحوار المباشر ، وتتسع مساحة التداعي فتسد الشخصية المفردة مسد الشخص الثانية والحوار المباشر ، أو يقلص حضورها حين يستحثها محاور ضمني في اللحظة المناسبة ليحرك مجرى الحدث ما يعني حضور التكنيف اللغوي من خلال اللغة النابضة بالإحالات، وإضافة إلى التفجير نجد الإيقاع اللفظي في عبارة تتكرر من المستهل إلى المختتم كما في قصة (صفر على شمال الحب) حين يقول: (في النقلة القادمة سيموت الملك)، وفي قصة (امعلا) حين تتكرر عبارة (مات) وهي عبارات في العادة تلخص لبّ الحدث ، وتجعل منه إيقاعاً يصاحب الأداء مستغرقاً الحالة الشعرية للنص، ومن أدوات (الفاخري) أيضاً الأنسنة والتشخيص حين يؤنس القصيدة ويحيلها إلى امرأة ، والإشراق الصوفية في أقصوصة (عملاق) وحيناً آخر يعتمد على الجمل القصيرة المتواصلة، وهو حذب لا يحبذه بعض النقاد لما يفسحه من حضور مباشر للكاتب يحول دون نمو الشخصيات مع

الحدث وبه كما في قصة (بنت الشمس) وفي أدائه السردى يعتمد (جمعة الفاخري) في الغالب على راوٍ من خارج النص، وعلى ضمير المتكلم وضمير المخاطب وضمير الغائب في أحيان أخرى، وإن كان الاتجاه إلى قراءة الذات قراءة متعمقة قد جعل لحضور الذات في القصة الحديثة مساحة شاسعة ، لكن تظل لكل نص ظروفه الموضوعية والنفسية التي يفرضها الحدث ، فالفاخري في أغلب قصصه يخرج عن السائد الجامد حتى أنني لم أطلع اعتيادية في الأداء إلا في قصة (الحجاب) فهو يعيد قراءة اليومي والمعتاد لإعادة إنتاجه بما يثير الإدهاش ، في المتن تتوحد قصص المجموعة في ثلوث المرض والفقر والحب ما يقود في بعض الأحيان إلى نهاية قدرية كما في قصص: (امعلا) و(صفر على شمال الحب) و(البطاقة الأخيرة) و(الصرة) حيث شكل الموت خواتيم هذه القصص ، ثمة قراءة للواقع شكلت حيناً عرضاً فادحاً وحيناً هروباً وحيناً آخر حضوراً للأمل ولا يمكن لأي نفس إنسانية أن تخلو من الجمع بين ثلوث النقائص: الإحباط والهروب والأمل.

فلا ينبغي إذن أن نحاكم كاتب هذه المجموعة وفق مواد قانونية افترضتها مدارس أدبية لم تقم وزناً لطبيعة النفس الإنسانية، فكان مصيرها الاندثار ، فشخص الفاخري يستنطقها كما هي من دون قصدية مبيتة قد تقودها إلى نهاية لا تتفق وسياق ظروف الحدث ، فالإرث الاجتماعي حاضر في العقل الباطن ، وثقافة المكان تفرض هذا ، وترفض ذاك ، فمرجعية الذاكرة تفرض حضورها المكاني في قصصه: (حدث ليلة عرس) و(في مهب ابتسامة) و(الاختناق عند جبال الملح) فالمكان الأصلي المنقضي (الريف) تظل ثقافته حاضرةً في سلوك الشخص الوافدة على المكان المتحول (المدينة) فلحظة كتابة النص لحظة معقدة يستدعي خلالها العقل الباطن ما يختزنه من صور وأخيلة وأزمة وأمكنة ، إنها لحظة استحضر لفيض عميق في غيضٍ سريعٍ والمحصلة أن الكاتب يكتب ذاته، وما الظاهر إلا دافع لتحريك الشعور لقراءة اللاشعور وتجسيده ، لذا فإن تجربة الكاتب وقراءاته تظهر لا شعورياً، وحين بدأتُ قراءة هذه المجموعة بالإهداء الذي به قدم الكاتب مجموعته هذه ، والذي استهله بالقول: (إذا كتبت مقالاً ممتعاً شكرت أستاذية النيهوم،

وكلما نسجت قصيدة مدهشة انحنيت عرفاناً لعبقرية نزار ، وإن
كُتبت قصة رائعة أجزلت امتناني لمدرسة الفاخري ، فيما كنت
أقبل رأس جدتي حينما أكتب حكاية جديدة) - انتهى ملخص
الإهداء.

حينما قرأت هذا الإهداء خشيت أن ينجر الكاتب وراء
غنائية نزار ومقالات النيهوم وقصص الفاخري في الستينات،
ويدخل بها فضاء القص، وتمنيت أن تكون ذاكرة جدته هي
الأقوى حضوراً، وهي التي بها يخوض غمار الفن القصصي،
فالإيقاع الشعري يفسد تلقائية النص ، ولغة المقالة لدى النيهوم
تظل لغة مقالة، وقصص الفاخري في الستينيات ذات إيقاع واحد
يعتمد على ضمير المخاطب، ولا يتيح للشخص مساحة الحضور
المتنامي، وتمنيت قبل قراءتي للمجموعة أن يأخذ (جمعة
الفاخري) من (نزار) ما يضيفه على اللغة من فلسفة ودلالة، ومن
خليفة الفاخري عمق الالتقاط ، وسلاسة العبارة في قصصه
الأخيرة، وأن يتخذ من الذاكرة التي تمثلها جدته هوية نصوصه
وهذا ما حدث، فجمعة الفاخري لم ينسحق تماماً أمام قراءاته،
واستطاع أن يستفيد من قراءاته لهؤلاء في شحذ أدواته الفنية

ليكتب نصه المتميز ، وإن كان ثمة إشارات لتأثير أسلوب ولغة (خليفة الفاخري) في الستينيات في بعض المفردات منها الفعل "طفق" وعبرة "على نحو موصول" واستخدام ضمير الغائب وهي عبارات حاضرة في كتابات من عاصروا خليفة الفاخري ، يبقى القول إنني استمتعت بقراءة هذه المجموعة التي جعلت (جمعة الفاخري) يجمع بين القصة والقصيدة ، وهي ثنائية لا يجيد الجمع بينها إلا قلة قليلة ، نعم استطاع أن ينجح في ذلك عبر هذه المجموعة التي هي أرقام مهمة على الشمال و ليست صفراً على الشمال .

سالم العبار - بنغازي

. 9 . 2002 ف

صفر على شمال الحب

" فشلت .. أتعبتني كثيراً .. أغتالك .. السفر .. ؟! "

... وفي النقلة القادمة يموت الملك ؟!

" كيف..؟ ومن لاعبه في هذا الوقت المبكر ..؟ لقد اعتاد ألاّ يلاعب أحداً قبلي .. ثم أنه لا يسمح لنفسه بأن يلعب أكثر من مباراتين : الأولى في الصباح معي والأخيرة في المساء مع أحد الأطباء ، أو أحد زملائه من النزلاء .."

وفي النقلة القادمة يموت الملك ؟ " يا للفضاعة !! لا أحد غيري يستطيع أن يتفوق عليه في المدينة كلها وهو الفائز بجميع بطولات الشطرنج .. أنا فقط تلميذته الصغيرة الفاشلة التي يتغلب عليها الجميع يعتمد أن يجعلني أتفوق عليه شعوراً منه أنه يمنحني نوعاً من الثقة راداً بذلك جميلاً يعتقد دوماً أنني أقدمه له ..

كتب لها ذات مرة: "قد تتعطل كل أعضائك وتصاب بالشلل فلا تشعر بفقدائها، لكن حين يشل قلبك تشعر أن كل أعضائك قد تعطلت فعلاً !!!".

فى لحظات المصارحة الأولى حدثها عن الحادث الأليم الذي أصاب قدميه بالشلل ، وحرّمهما لذاذا انطلق ، وأوقف نهر حياته عن التدفق .. " يا صديقتي ما أتعس الإنسان حين يولد شاعراً .. فالشاعر دوماً يؤكد حقيقة المستحيل لأنه يركض دائماً نحو آفاق بعيدة لا يراها سواه ، ولا يصل إليها أبداً ، وهو بذلك يعيد على الدوام لعبة المستحيل ، هذا ضبطاً ما حدث لي !!"

استوضحته .. أشعل سيجاراً .. رمى الكتاب من يده .. تأوه ثم استقام زاجاً عينيه بعينيها وسرح:

"ما أصعب أن تكون شاعراً!! والأصعب أن تضيع أحلام الشعراء .. إنهم يا صديقتي كالفراشات يحومون حول نيران الوهم ويحترقون بأحلامهم .. و أنا بفضاعة كنت فراشة .. وحتى أبسط لك الأمر.. كنت شاعراً.. ذات لهفة امتطيت ذعر النبضات، ويممت وجهي شطر عينيها .. وحين قابلتني بكت .. واندلقت آلاف الينابيع في قلبي وعبر عيني .. أتعرفين يا صديقتي معنى أن تبكي حبيبة الشاعر بين يديه وعلى مرأى من عذاباتة؟! إنه ينتحب.. يصنع من قلبه إناءً يحوي تلك القطرات الزكية .. أنا فعلت ذلك.. تماماً كأي شاعر تبكي حبيبته .. لم أتصورها يوماً تبكي ، وبين

يدي ..!! حينها فقط شعرت أن الأيام بدأت تتحداني بصفقة..
وأنشأت الدموع تسكن عيني على الدوام ، فلقد ضيعت قصيدةً
رائعةً .. قصيدةً بهية المعاني .. وما أقسى أن يضيع الشاعر
قصيدته ..! لقد كانت قصيدة جميلة ظلت على الدوام أتلوها حتى
حفظتها عن ظهر حب .."

وكيف تعرفت عليها .. ؟

كنت في ذهابي المسائي المعتاد لممارسة هوايتي المفضلة "
الشطرنج " بالنادي ، حين استوقفتني تلك الصبية القصيدة ..
وقفت مشدوهاً أمام قوافيها الرائعة .. نظرت إلي بدهشة بريئة ..
غمرتني بنظراتها حتى تخيلت أن عينيها ليستا عينيها التصقتا
بي صارتا عيني .. رأيتهما بهما كما رأيتهما .. ثم حاصرتني
بابتسامة ودود تقطر شوقاً ، وتلاشت بين أحشاء الشارع الكبير
فيما ظللت مبهوراً أقف لأتلوها بفرح طفولي .. يومها للمرة
الأولى أهزم في لعبة الشطرنج المتفوق فيها على الدوام ، وحين
تعجب من ذلك الزملاء قلت لهم : " هذا لا يهم حتى ولو خسرت
العالم كله ، المهم أنني قد ربحت أروع قصيدة ."

لم يفهموا شيئاً .. استغربوا .. انسحبوا خارجين ..

وكل مساء ظللت أتلو القصيدة الصبية.. وكانت تمنحني
الشوق والدهشة وشيئاً من الحلم أحتاج إليه .. أواه ما أبشع أن تفقد
حلمك !!..

هكذا ببساطة كما تموت ابتسامة على شفئك فجأة ..

- ألها الحد كانت باهرة الحضور ؟..

- أجل يا صديقتي ..باهرة الحضور ، لكنها جارحة الغياب
كانحباس المطر فى مواسم الشعر والعصافير ..حسنا صحت
ذات حلم فوجدتها على مرمى رعدة من القلب تحمل سلمها
لتسندة على جدرانها وتصعد عبر شرايينه .. فأعادت طفولة النزف
بدفق طفولتها المشرقة .. كانت عيناها تشاغبني ..تقف عند مدخل
القلب لتحصي عليه نبضاته .. تكتب على شرايينه " ممنوع
الهدوء " وما هدا منذ عرفها أبداً .. لقد كانت مذهلة مثيرة ، هل
تدركين معنى الذهول والإثارة ..؟ إنها القصيدة الوحيدة التي
كتبتها وكتبتي ..القصيدة الوحيدة التي تنازلت لها عن لغتي ، أو
فلنقل إن لغتي خانتني معها !! لازلت أذكر صفاء عينيها البهيتين،
ولغتها الساحرة التي سقطت أمام سحرها لغتي !!..

- ثم ماذا ؟..

- رسمت ابتسامتها وسط فهارس الحب ، ونقشت اسمها في
موسوعة الحنين ، وكتبت للقلب سيناريو الأشواق ثم صنعنا معاً
قصة حب جميلة كأى شاعر يهوى قصيدة !!..

- بعد ذلك ..؟

- وجدتها ذات اندحار ..كانت القصيدة تتفتت .. تكاد معانيها
تفر عنها .. تسيل حروفها على حوافها فبدت كهوامش مختلطة
غامضة ..استنطقتها ..عرفت منها أن القصيدة ستباع بثمن بخس
.. بالمرارة ..! التقت نظراتنا فى عناقٍ بالكِ حزين .. احتوتني
بنظراتها طويلاً ثم أودعتني شيئاً ثميناً ، فيما محت الدموع بعض
كلمات القصيدة التي تذبل بفضاعة .. وطواها الباب الحديدي خلف
أنين مفاصله ، ليعلو صوت الرتاج على جهشيتنا وثمة كف محبة
ترسم خلف أروقة الصمت البليد هالات للعشق البريء الموءود ..

افتترقتما ..؟!

- وانطلقت وحيداً أذرع أرض الله بلا وجهة أقصدها ..
سهلت جياذ الوجد بقلبي وانطلقت مذعورة تتسول الأشواق على
أرصفة الصقيع والغربة والفشل والمرارة .. همت على أحزاني
تكاد هواجسي وقلقي وضبابية الأشياء من حولي أن تصعقني ،

فيما طفق الحزن يخصف على أيامي من ورق العذاب .. انطلقت
أسابق الريح والجراح والغروب الذي ظل يهطل أمامي وبداخلي ،
تكاد سيارتي أن ترتفع فوق السحب التي كانت تتناسل على باب
الشتاء، حينما احتج المساء على رمادية الغيمات فانسحب بهدوء..
كنت حينها قد قطعت شوطاً طويلاً من سيري المجهول الهوية..
وعندما تحسست يدي جيب معطفي وقعت على صورتها، الشيء
التمين الذي استأمنتني عليه.. انتشلتها من بين انكساراته، وانحنيت
عليها أقبلها واضعاً رأسي على مقود السيارة بانكسار على حين
شرعت الغيمات تهطل تحت انحناءتي البائسة ، لم أنتبه بعدها إلا
وأنا على هذا الكرسي المتحرك محطماً محروماً من كل شيء ..
قليل لي إني ظللت شهراً كاملاً فاقداً لوعيي .. نعم ،فلقد فقدتها تلك
القصيدة الأثيرة .. !!

- " كيف حدث هذا ..؟ ما معنى هذه الكلمات الغامضة ؟
ومن الذي لاعبه ..؟ غريب إنه مغلوب !! وهو الذي لم يهزم إلا
مرة واحدة – كما أخبرني - حين تعرف على حبيبته ذات مساء..
من لاعبه الليلة البارحة ..؟ كل أصدقائه ينكرون أنهم لعبوا معه ..

والأطباء كذلك .. فمن غلبه يا ترى ..؟ ثم أن هذه القطع السوداء هي قطعه التي يلعب بها .."

- " ليتها تدرك حجم معاناتي .. إن ما يشجعني على الإقدام أنها أبدت تأثراً بالغاً بقصتي .. سأسرد على تعاطفها بقية الحكاية المأساة هذا الصباح " .

" ... ومكثت بالمستشفى طريح الفراش قرابة عام ونصف ملفوفاً بالبياض كأني ميت .. ولقد كنت ميتاً حقاً .. فالشاعر يموت حين تضيع قصيدته .. وحينما عدت إلى البيت .. تبدل كل شيء .. كانت الحياة غير الحياة .. كنت قبل ذلك رخاً طليقاً يطير عبر رقعة الحياة كيف يشاء .. لكنني وجدت نفسي أسيراً للإعاقة ، ونظرات الإشفاق في أعين الناس وكلماتهم الباردة المجاملة ، وإشاعاتهم القاتلة ، وتهامسهم المريب بأنني كنت أقود سيارتي وأنا في حالة سكر ؟ فضاقت الدنيا في عيني ، وبت أكره من هم حولي وأثرت أخيراً أن أضع حداً لهذا العذاب ، هذا الانتحار البطيء ، أكمل بقية عمري بهذه المصححة مأوى العجزة مصادقاً عجزني ، محتضناً إعاقتي كما ترين .. شيء وحيد بقي لي من حياة الانطلاق والأحلام المجنحة يؤنسني ويسليني ويهون علي

مآسي السنين ، وعذابات الأمس وجراح اليوم .. شيء واحد فقط ،
فحتى صورتها الشيء الثمين الذي استأمنتني عليه ضاعت مع
بقايا حطام الأماني الذاهبة.

ما هو .. ؟

- إنه الشعر يا صديقتي .. صديقي الحميم جداً .. وقد كتبت
الليلة البارحة بعض الهواجس ، إن شئتِ أطلعك عليها لأخذ رأيك
فيها .. ؟

- بكل امتنان ، فهذا يسعدني كثيراً ..

- أسلمها الورقة ثم انصرف خشية أن تقرأ إحساساً مرتبكاً
فى عينيه ..

- " كنت أعتقد أن الأشياء لا تتشابه أبداً .. لكنها أبطلت
اعتقادي فهي تشبهها تماماً .. قصيدة أخرى .. أدركت شاعراً بعد
أن تقاعد فلا يدري ماذا يصنع حيالها .. فمعها فقط أدركت أن
للذكريات الطيبة مرارة وقسوة لا تنتهي ، فهي أكثر إيلاماً من
الذكريات الحزينة لأنها معبأة بالشوق والحنين والرعشات البهية
والدموع ، لقد حاولت مراراً أن أمنع القلب عنها ، لكن هيهات !!

فمع كل نبضة كان يتحرّش بها ، ثم يركض خلف خطواتها بجنون
فيرميه النكوص على أرصفة الخيبات يدخن وحيداً فشله .."

- قرأت الورقة .. ابتسمت لشاعريتها .. احتضنتها ثم
أخرجت قلمها الأنيق وكتبت على ظهرها .. (إنها رائعة) ..

- رائعة ؟ هه ياللقهر !! كنت أتمنى أن تكتب (إنك رائع ..
أوافق على منحك قلبي) يا للخيبة .. يبدو أنني لن أتمكن من الفوز
بقصيدة جديدة بتلك الدهشة والإثارة !!

- لكنها فاجأتني بحضورها الجميل بعد أن تقاعد القلب عن
الحب .. قصيدة أخرى تعرض الدهشة على قلبي وتعاشيب الأمل
والأشواق القاتلة .

هي الآن على مشارف القلب تجاذبه أطراف المحبة فيرتكب
فعل الذعر والرعشات في أثرها .. إنها هي نفس القصيدة المدهشة
التي سقطت من بين يدي بين الأشواك ذات فقدان مؤلم .. كيف
توردت في قلبي كوردة نضرة .. إنها رائعة .. ترى نفسها بعيني..
يا إلهي !! هما نفس العينين الساحرتين الآملتين .. والرموش
المستجدية الذابلة ، والوجه الطفولي البريء والشفيتين اللتين

تحملان تاريخاً طويلاً من الحنين .. واختيبتاه .. أبعد أن تقاعد القلب .. ! ؟

" .. وفي النقلة القادمة يموت الملك .. "

- لا .. كيف يموت بهذه الغرابة والبشاعة .. ؟

- " سأقدمها لها عساها تكتب على ظهرها شيئاً مثيراً
يمنحني طرفاً آخر للأمل .. لكن ما جدوى ذلك وأنا المحطم
المقهور الكسيح ؟ ما جدوى أن تعشقتني أو تحيي قلبي من جديد
فأنا ما عدت أجيد شيئاً سوى صنع الكلمات الكسيرة الجريحة
المتقاعدة كقلبي .. لكني سأستمر .. لن أراجع .. يجب ألا أتوقف
عن المحاولة .. "

- " لقد أدهشني هذا الشاب المسكين .. ما هذا الغموض الذي
يلف تصرفاته ..؟ لقد أتعبتني .. فشلت .. أغتالك .. ثم يموت .. ؟ "
- في الصباح أشرق على بابتسامتها كفرشة جميلة ..
حملت إليه تحية الصباح وهالةً من عطرها النفاذ ، وأملاً جميلاً
مستطيلاً .. أخبرته عن إعجابها بما كتبه أمس ، وإنها وضعت
ورقته فوق رقعة الشطرنج .. ابتسم لها .. احتضن عينيها بعينيه ثم
قال :

" ليلة الأمس كانت ليلة ممطرةً نشجت فيها مزاريب القلب
شآبيب شعرية .. خذي أقرئي هذه فهي من هطيلها ..

- أخذت الورقة .. أودعتها جيبها وانصرفت لعملها ..

-عند نهاية الدوام عادت إليه بوجبة الغداء وكبسولات
الدواء .. حدثته قليلاً ثم ودعته لتعود إلى البيت .. قبل أن تجتاز
الباب استوقفها صوته الكئيب .. التفتت إليه .. أربكته عيناها ..
سألها عن الورقة .. أخبرته أنها أرجأت قراءتها إلى عودتها
للبيت .. ثم تركت على عينيه ابتسامةً بهيئةً وشيئاً من الأمل ومضت
عنه .. تركته لخيالاته وهواجسه ولشرفته الفارغة مثل كوخٍ
أثري .. أرسل بصره إلى حيث البحر ، وخيالاته إلى حيث عينيها،
بدا له مشهد التقاء البحر بالسماء عند نقطة الأفق فعاد لذهنه مرأى
عينيها اللتين تلتقي فيهما زرقة السماء ولازوردية الشيطان فسبح
عبر نداوة المساء في أحلام وردية شفافة .. وثمة شتاءات تتناسل
في أعماقه وفي عينيه وقلبه ..

- استلقت على سريرها .. فضت الورقة .. أعادت فعل
تلاوتها عدة مرات .. وفي كل مرة كانت تحضنها إلى صدرها

وتبكي ، ثم وضعتها تحت وسادتها وألصقت نظرها بالسقف حتى
النعاس.

- سار بكرسيه المتحرك إلى مدخل المصحة لانتظارها
هناك .. ظلت طواحين الانتظار تقرض منسأة صبره بضراوة ..
لمحها تترجل من الحافلة ، بدت بين رفيقاتها فراشة مزهوة قزحية
الألوان تستحم بالنور ، وتطير إلى حيث الشمس .. ابتسمت له من
بعيد .. تجمعت الغيوم بعينيه .. اجتاحه عطرها .. حملته بعينيها ..
أغفت يدها بيده ثم دفعت به عربته إلى الداخل ، وغرقا في

حديثٍ حميمٍ طويلٍ .. أعانته على الصعود لسريره ثم عادت
إليه بالإفطار وزجاجات الدواء وابتسامتها المشرقة .. سألها عن
الورقة:

- لقد نسيتهما ..!

وماذا عنها .. ؟

- إنها ذات شفافية لا تقاوم ، فأنت تملك حساسيةً نادرةً ،
ورومانسيةً لا مثيل لها .. إنك مبدع كبير .. أنا من الآن القارئة
الأولى لكتاباتك يا شاعري المبدع ..

ابتسما .. تعانقت نظراتهما ثم تركته للحظات فرح بليلة ..

- " إنها بدأت تفهمني .. أمسكت بطرف الحبل .. سأبدأ بالشد.. لكن ما جدوى ذلك .. ؟ ربما لم تفهم شيئاً مما بالورقة لكنها تجاملني إشفافاً على إعاقتي وقعودي .. لا .. لا يمكن لامرأة بكل هذا الحس والرقّة والأنوثة أن تعرف النفاق والمجاملة هذا مستحيل .. سأكتب لها ورقةً أخرى أكثر بوحاً وصراحة .. سأكتب شعراً .. لا .. فقد أستغرق في الشعر .. وأغرق في الرمزية فأصعب الأمر عليها .. سأكتب كالمعتاد الورقة الفصل .. "

- جرّد قلمه واسترسل .. " حين غفت يمينك بيدي كعصفورٍ صغير ارتعشت بعنف فلقد توسدت قلبي .. أما سمعت نبضاته وشهقاته تعلو باضطراب .. ؟

إن عينيك تحارباني بالحب .. عيناك قنبلتان للأشواق الموقوتة فلا تفجريهما في قلبي فتندلق ينابيعه .. إنهما قنبلتان شديدتا الانفجار وأنا أنفجر بسهولة كأبي شاعر .. فلا تدعيهما تحاصرني هكذا لكي لا أنفجر.. أثق بعينيك الصافيتين كبحيرتي فضة .. عينيك المتثقتين اللتين تتهجيان كل مفردات الوله والأحلام .. في حضرتهما أنسى كل العيون الأمية التي حاولت

يوماً أن أعلمها أبجديات الهوى وفهارس العشق ولم تتعلم حرفاً واحداً .. . أحبيني قليلاً .. أتوسل بعينيك وقلبك .. امنحي قلبي آخر فرصة للارتعاش المجنون ، وللرفيف الشهوي المباح .. "

- طوى الورقة .. ألقى عليها نظرةً أخيرةً ، وحين عادت إليه بالدواء قبيل انتهاء دوامها أسلمها إياها .. ابتسمت كعادتها .. أودعتها جيب سترتها ومضيا يلعبان الشطرنج كالمعتاد ، وكأي مرة جعلها تتفوق عليه .. نظرت إلى ساعتها .. أحاطته بسياج ابتسامة منعشة ، بادلها الابتسام .. وضعت حقيبتها فوق كتفها ، ولوحت بيدها مودعةً فيما احتضنته عيناها وهي تنسحب مغادرة..

- ألقى ببصره إلى حيث البحر ، كان يبدو هائجاً ثائراً يجتاح الشيطان بمداهمهمجي ، على حين كان الأفق عند ملتقى البحر ملطخاً بالغيم على نحو كئيب ..

- وتغيبت عنه وعن قلبه الذي اجتريته من إجازته المرضية.. لأربعة أيام متتالية لم تأتِ للعمل .. افتقدتها على نحو موجه.. دارت برأسه آلاف الهواجس اللعينة .. امتنع عن الأكل والشراب.. قاطع الجميع .. وفي كل مساء حين يدنو الغروب كان يرنو للبحر وهو يلحق أهداب الصخور عند انفساح رقعة الشاطئ شاكياً إليه

أشجانه وعذاباته ومواجهه .. وحين كانت عين الشمس تذرف
دمعتها الأرجوانية على امتداد البحر لتلون فرح النوارس وهي
تلامس سطح البحر بأجنحتها عبر رحلتها أثر انفلاق البحر بفعل
قوارب الصيد الصغيرة ، ومشاهد الصيادين المترقبة الآملة على
الضفة، ومنظر الأطفال الراكضين فوق نعومة الشاطئ . كانت
ثمة دموع تتمرد على إرادة عينيه باتصال ..

" ترى لماذا تغيبت .. هل أغضبته الرسالة ؟ يالوقاحتي ..
كيف تجرأت على ذلك ..؟! لا . أنها لن تغضب مني على هذه
الشاكلة ، لو أنها غضبت مني لأتت إلي وأبلغتني غضبها .. ربما
هي مريضة .. لكن لو كانت مريضة لأخبرتني زميلاتها بذلك ،
فهن لا يعرفن شيئاً عنها أيضاً.. فكيف اختفت إذن على هذا النحو
الغريب ..؟ "

- في اليوم الخامس سطعت وسط ضبابية أيامه بابتسامتها
المشعة الساحرة .. هرع إليها بنظره .. احتوته بابتسامتها .. حاول
أن يقف لملاقاتها لكنه فشل ، كان بيدها طبق مرطبات .. قدمت له
قطعةً منه مع علبة من عصير الأناناس .. تهللت أساريره .. فيما
أضحت آلاف الأسئلة تتدفق بداخله بتواصل ...

أجيبيني .. ما سبب هذا الغياب المفاجئ ، وما دواعي هذه
المرطبات ..؟

ابتسمت فى وجهه بخجل ثم قالت : "خطوبتي "
صعقته عبارتها .. تلون وجهه .. ارتعشت كل أعضائه وثمة
لمعان طفق يعانق عينيه ..
ماذا جرى لك ، ألا تسعد لفرحي ..؟ ألسنت صديقتك الأثرية
كما تدعي ..؟

- تلكأ .. تلغثم مثل طفل .. " ن .. ن .. نعم .. ولكن .. لكن
المفاجئة أربكتني " وحينما ذهبت عنه لتوزع المرطبات على
النزلاء الآخرين.. تقيأ ما بفمه تحت السرير ، رمى ما تبقى بيده ..
مسح بكم قميصه دموعه ثم ساق عربته للحديقة لكي لا تراها يذوب
- في اليوم التالي لم تجده .. سألت عنه زملاءه ، لكن أحداً
منهم لم يشاهده منذ البارحة حيث قضى يومه وحيداً في الحديقة ،
أو بالشرفة يراقب صراع الموجات لأجل الوصول للشاطئ ..
- بحثت عنه في الحديقة ..لم تعثر عليه .. في صالة الأكل ..
في صالة الألعاب ..لا شيء يدل عليه ..عادت إلى حجرته ، كان

غطاؤه غير مرتب .. رتبته .. لمحت لعبة الشطرنج وقد أعدت القطع للعب ، والقطع السوداء التي تعود للعب بها تشير إلى أن في النقلة التالية سيموت الملك .. الملك الأسود ..؟! تضاعفت حيرتها .. وقفت مشدوهة أمام هذا اللغز المحير..؟

- من لاعبه في هذا الوقت المبكر .. ومن تفوق عليه غيري..؟ وكيف يموت الملك بهذه السرعة والغرابة والفضاعة ..! إن في الأمر سرّاً ما..

- وسط حيرتها واندھاشها لمحت ورقة تحت رقعة الشطرنج.. انتزعتها ..سالت منها هذه الكلمات :

"أيتها القصيدة الأخيرة ، لقد تعبت وأنا أحاول أن أصطادك كقصيدة مدهشة أعلقها أيقونةً سحريةً على جدران أيامي المظلمة، لكن يا للمرارة فشلت فشلاً ذريعاً !! .. وما أقسى فشل الشعراء.. !! إنهم يموتون حين تمضي القصائد عن حياتهم ... شكراً لحبك... شكراً لعينيك ... لقد جعلتنا مني شاعراً عظيماً .. لاتلوميني على غرابة تصرفاتي .. لقد أتعبتني كثيراً ..فقررت أن أغتالك .. أغتالني... أغتال ما بيننا بالسفر.. و .. د .. ا .. ع .. أ .. "

الاختناق عند جبال الملح

- فيما كان حزن قاتم ينصب خيمة كبيرة َّله في بالون قلبك المتخم بالعذابات والمنغصات وألف شعور كريحه - ظلت كلمات جدتك العجوز تلامس أذنك باتصال على غير رغبة منك .. " لماذا لا تتزوج .. جميع من هم في مثل سنك تزوجوا وأنجبوا أطفالاً .. إلا أنت ؟ "

" تتزوج .. أنجبوا .. أطفالاً .. أنت .. لماذا ؟ " كلماتها اللائمة تطرق رأسك بتواصلٍ ملحاح ، وظللت مطرقة كأنك لا تسمعها ، أولا تعي لهجتها ، وفي غيبوبة الإطراق والذهول فاجأتك بهزة عنيفة لياقة قميصك ثم أردفت تقول " أنت اعقد العزم على الزواج ، وأنا أجد لك زوجة عليها مئة ملح"، وتفرقت ضحكة منتفخة الأوداج من أعماقك جعلها تقاسمك الضحك اعتقاداً منها أنها أوقعتك في فخ الموافقة بسهولة.. مازحتها قائلاً: "عليها مئة ملح يا جدتي؟"¹

وعبر ابتسامة تجمعت لها تعاريج وجهها الطيب قالت : نعم

يا ولدي ..

1 - "عليها مئة ملح" . عبارة تقال في اللهجة الليبية تعبيراً عن الحسن و الجودة والملاحة .

- هه .. هذه امرأة أم قطعة قديد ...؟

- سحبت يدها المعروقة المنقوعة في بحار الحنان والطيبة على قمة رأسك الضاج ، وأحاطتك ببهاء ابتسامة وردية ، وشرعت تحدثك عن الزواج والأولاد والمستقبل ، وألف شيء آخر ربما لم تلتقطه ذاكرتك المعبأة بالشعر والأقوال والحكايات وآلاف الأسماء والوجوه والذكريات التي تفتح في رأسك على الدوام نافذتين مشرعتين على الشتاء .. ذاكرتك المملوءة بآلاف الوجوه لنساء حاولت مراراً أن تتزوج أيما واحدة منهن ، لكن شعوراً مزرياً كان في آخر الطريق يرفع دائماً إشارة حمراء أمام قلبك ليمنعك المرور أبعد من حلمك المقلب ..

وتتركها ترحل .. تلك التي حملتها طويلاً في قلبك ، ووهبتها أروع ما تملك ، وشيدت لها على أهدابها وشرفات وجهها برجاً خرافياً من لآلي الشعر ، وأحطتها بسياج من الأمنيات المجنحة .. ترحل وأسراب الأمنيات الطيبة ، وليالي الأحلام المثيرة، وألف وعد جميل بحياة خرافية الحضور ، وتتركك لجراحك .. لنافذتيك المشرعتين على وجه من وجوه الشتاء .. لذاكراتك التي اهترأت

من مرارة الذكريات الحزينة .. لقلبك التعيس .. لقلبك الذي لوثنه الهزائم .

لقد أرغمتك على الإنصات لحفيف الذكريات المهتزة بفعل رياح التذكر، وحدثتك عن الزواج على أيامها .. ألف آه حرى تهطل من تذكاراتها العابقة برائحة الحب البدائي ، وزواج القسمة والنصيب ، وعن جدك زوج العمر الذي لم تره قبل زواجهما أبداً.. فجأة خرج لها من طيات القدر ،كانت صغيرة تراقص الرابعة عشرة حين زارهم أولئك الرجال الملفوفون بأزر بيضاء ، وبعد ختام زيارة لم تطل عرفت أنها خطبت لرجل ما ، وأن والدها وافق دون أن يستشيرها ولو مجاملةً لها ، وأنها على وشك أن تصبح زوجة ..كيف حدث هذا بكل هذه السرعة والبساطة ..؟ إنها لا تعرف عن ذلك شيئاً ..

خيّل إليها أن جدته أيضاً تعرف أنها "عليها مئة ملح" .. فاختارتها لحفيدها ، فطعم الحياة لا يحلو بدون ملح .. حاولت مراراً أن تتصور شكله وهيئته ودرجة وسامته ومهنته فلم يتسنّ لها ذلك ، وكل الوجوه التي علقت بذاكرتها كانت تختلف تماماً عن وجه زوجها الذي ساقوها إليه وسط هالات الضجيج والتصفيق

والغناء والزغاريد وسحائب البارود وزوابع الغبار الذي أثارته
أقدام البشر المتزاحمين ، وسنابك الخيل المتسابقة .. ففي إحدى
الأمسيات الصاخبة وفيما كانت عين الشمس المرهقة من صحو
نهار كامل تسبل رموشها الأرجوانية على مدى الأفق ، وطفقت
تذرف دموعاً بلون النار قبل أن يطبق الليل جفنيه عليها - رآته
لأول مرة .. اقتحم عليها الخباء .. ارتعبت منه .. من وجهه
المتغضن وابتسامته البلهاء ، ورائحته السمجة .. كان يناهز
الثلاثين . ملفوفاً بإزار أبيض ، لم يكن يحمل أي شبه من فتى
الأحلام الذي تخيلته يأتي من بعيد على جواد الأحلام المجنحة
ويخطفها إلى حيث مدائن الجمال الأبدي ، لم يكن سوى بدوي
يرعى الإبل يغيب شهوراً ثم يعود قاحل الأعماق كالصحراء
تماماً.. خرج بعد مشاهدتها

الأولى العسيرة وقد رفرفت قطعة قماش بيضاء توسطتها
بقع دم متناثرة علامة نصر ذكوري .

- شكت لأمها سوء حظها ، طمأنتها على أنها سترتاح له
وستعتاد الحياة معه ، وأنها يجب أن تروض نفسها ، وأخبرتها
أنها لاقت الموقف نفسه عندما مرت بهذه المرحلة . ثم رحلت

عنها ولم ترها إلا بعد ثلاثة أشهر حين ذهبت لزيارة بيت والدها..
كانت قد بيتت أمراً ما، لكن كائناً جديداً أضحي ينبض يمزق
بأحشائها ...

- وتعودت على العيش معه .. على العذاب المستمر ..
اكتشفت بعدها أنها كانت الزوجة الثالثة .. وأدركت حينها معنى
القسمة والنصيب ...

- ويتداعى في ذاكرتك على نحو عفوي تعبير صديقك الذي
سألك يوماً (هل ستتزوج بالقسمة واليانصيب ..؟)

- حاولت حينها أن تصلح له عبارته الناشزة ، لكنه أصرَّ
على خطأه الصحيح ، حين استطرد موضحاً مقولته .. " إن
الزواج اليوم مثل أوراق اليانصيب ، أغلبها تخيب وواحدة فقط
يكتب لها النجاح "

- ونجحت في أن تجرك إلى حبائل الاستماع .. ثم تتذكر أنه
قال لك يوماً "إن الحب اليوم هو موضوع إنشاء من آلاف الكلمات
الجوفاء يتحدث فيه الجميع عن مثاليات لم يعرفوها أبداً " .. تنظر
إلى ساعتك .. يلتف الوقت ثعباناً يحزُّ عنقك ، تحاول من بين
هطيل أحاديثها المتلاحقة أن تتذكر أقرب المواعيد التي تحاصرك

دوماً ،وتتوقف محاصراً رأسك بين يديك ..يرتفع صوتها أعلى من
ذي قبل " والله يرحمك يا أيام زمان " ولم ترحم قلبك المتفطّر ،
قلبك الذي لوثته الهزائم على نحوٍ مفرعٍ .. !

- وكانت أغلب المواعيد قد ذهبت مع الريح ، تهوي
بقبضتك على الأرض تحسراً على ذلك .. تستغل تشنّجك
وعصبيتك ، تسرع بالقول " آه لو أنك متزوج ما أحاطك كل هذا
الضجر ، ليتك تأخذ رأيي وأنا أجد لك العروس "

- وفيما هي في تداعيتها وروايتها لحزم الذكريات المضيئة ،
لا تدري كيف قفز إلى ذهنك تفسير لعبارتها المضحكة إلى حد
الإغماء " امرأة عليها مئة ملح " .. بهدوء قلت لنفسك : " خشية
العفونة " .

- وخمنت أنهم أطلقوا اسم (المليحة) على المرأة الجميلة
نسبة للملح .. استكنت قليلاً .. خفّت وطأة حديثها،فيما أحسست
برائحة شواء وملح .. وضعت يدك على منفذي أنفك ثم رفعتها
عنهما ،لم يكن ثمة شيء لكنك تتوهم !! تتذكر أنها قالت لك يوماً
حين انتفضت مذعوراً من شيء ما : (الملسوع يخاف جرة

الحبل²) قبل أن تغرقك برذاذ فمها المتتابع .. تتحسس عنقك هل ثمة حبل ؟ لكنك دوماً تختنق هكذا بغرابة وفوضوية !!..

- بهدوء تحضنك محاولةً أن تستدر اطمئنانك لها ، ثم تطلب منك أن تحدثها عن صديقاتك ،ومن منهن يمكن أن تصلح لك زوجة ..؟

قلت لها : تقصدين عليها مئة ملح !!؟

- وحضرتك أضاميم الشعر ، وبذاكرتك ازدحمت مئات الوجوه ، وعلى منفي أنفك كانت ثمة روائح وعطور نسائية ما لبثت أن تركت مكانها لرائحة الملح .. أجل الملح لا غير ..

- حاولت أن تفهمها أنك غامرت كثيراً في هذا الطريق الشائك ، وأن قدميك أدمتتهما أحجار الطريق .. تقصد كتل الملح .. وفي كل مرة كنت على موعد مع الشتاء يهمني عبر نافذتي رأسك الممطرتين ، وتذكر ذلك السير المدهش على درب الحب ، كنت دوماً تخشى على بالون قلبك من أشواك الطريق ، ففي الحب لا يمشي الناس على أقدامهم وحسب .. لكن على قلوبهم أيضاً ، وكم

² - مثل شعبي ليبي .

مشت الحسان على قلبك بقسوة !! أجل كانت بصماتهن على قلبك
كدبابيس حادة .. قلبك المسكين الطيب الذي لوثته الهزائم ،
وحطمته النكبات ، ونخرته الأشواق على نحو مدمٍ .. وباتت أكوام
الملح تنمو على حوافه لتقتل آمال البراعم في الحياة ، ثم انفلت
مئات الخواطر المملحة تحوم برأسك على نحو صاعق ، على
حين ظلت جدتك تمارس فعل الإقناع البدائي على طريققتها ،
وإلى أنفك تتسابق عواصف كريهة الشميم ، تصورت أنك تتزوج
امرأة ما ، ثم تجلب جبلاً من الملح وترش منه يومياً على وجهها
وسائر جسدها مسحوق الملح لكي لا . . . "

- تهز رأسك ساخراً من أفكارك الجامحة ، تطردها بعنف
لكنها لا تبرح تهد رأسك ببرودتها .. ويد جدتك العجوز لازالت
تحاول أن تمنحك بعض الحنان ..

- (إن الزواج حلو .. أجل حلو ..)

- وبذاكرتك تندلق حكاية جبال الملح والروائح والعفو ...!!

تزفر .. تهمهم بامتعاضٍ ، فيما تجد طعم الملوحة بين
شفتيك، تبصق في وجه شيء ما ، وتمط شفتيك ، ثم تغرس نظرك
في عينيها المنطفئتين مستنيراً بمواشير ذكرياتها التي تهطل

بعفوية مثيرة .. تعجبك بساطتها وحنانها وحكايتها المدهشة
الودودة .. تبتسم في وجهها .. لا تراك .. ولا تفتأ الفكرة المجنونة
تقتحم رأسك كاللعة (امرأة مملحة .. ؟) كنت تود امرأة غير ذلك ..
امرأة حلوة كتفاحة طازجة تلحق من شفيتها .. كلماتها ..
همساتها .. نظراتها .. كل شيء فيها - أنهار العسل والسكر ..

- .. لكن طعم الملح لا يزال يحنط شفتيك ، ويطفى تلك
اللحظة الباهرة التي عبرت أفق خيالك وتلك الفضاءات الشاعرية
التي هبت نسائمها فجأة ..

- وتعود صورة المرأة المملحة ترتسم في مخيلتك ، توزع
الملح على نبضات قلبك حتى تنمو بثور موبوءة على صفحة
صدرك ، وتتنظر إليها فتبدو لك كأكوام الملح .. تماماً كأكوام
الملح، تلتفت إلى جدتك هذه المرة وتقاطعها متعجباً : عليها مئة
ملح يا جدتي..؟

- نعم يا ولدي ..

- يالخطي !! سأنشرها في الشمس كي لا .. إنني سعيد
فالذباب لا يسقط عليها أبداً ..

- تستغرب أحاديثك .. تحاول أن تستفهمك ، لكنك تستطرد :
إما في الشتاء فلن أخرجها للهواء .. سيذيب المطر الملح ..
وتصبح بلا طعم .. وتنشأ في ذاكرتك مشاهد متعددة للطبخ
ورائحة الطعام ومذاق الملح من جديد .. وحين سرحت مع حزم
الذكريات المجنحة جاءك صوتها حنوناً هادئاً متسللاً على أصابع
حنوها الدافئ (الحياة يا ولدي لا تنتظر أحداً ، فهي تمضي في
طريق قصير لا يدري الإنسان إلى أين يوصله ..

- يوصلها إلى حتفه .. إلى آخرته يا جدتي ..

- تشاءمت منك وأضافت ((بعد عمر طويل إن شاء الله))
قلت في نفسك : وبعد أن تمر على جبال ملح كثيرة بعدد أحجار
الطريق الدامية وأشواكه كذلك ..

- وتعرفت على تلك الفتاة كانت جميلة وجذابة إلى درجة
الشاعرية ذات عينيْن بهيتين مشرعتين على البحر والسماء معاً ،
فيهما نقاوة الموج وعذوبة الشيطان وصفاء السماء .. كانت
تشاركك روعة الوقوف والدهشة أمام براعة البحر في سلب
العقول والقلوب ، وسلبت قلبك وعقلك معاً .. كانت بهية الحضور
كطيور السنونو ، فاتنة كأزهار الربيع .. وهبتها كل ما تملك ..

حتى قلبك الذي لم تلوثة التجارب آنذاك .. عشتما معاً أروع اللحظات .

اكتشفت بعدها ملوحة العلاقة بينكما .. ملوحة شديدة تصل لدرجة المرارة .. ثم صارت العلاقة بها كالمياه الآسنة .. كنت تتمنى بعدها أن لو كانت العلاقة بالمرأة تأخذ طعماً محايداً بين الملح والسكر ، طعم الليمون مثلاً .. لكن على أي حال اكتشفت خطأك ، وطعم العلاقة بالمرأة ، وصرت تحمل لها شعوراً غريباً يجعلك تردد عبارتك المرة: " لقد أصبح للحب طعم سمج وكأنك تدخن سيجاراً مقلوباً .. "

- لقد مات حبك الأول كما تموت النوارس ، مات على طريقة طائر البجع .. لا حل لديك .. الآن أحكم الحصار عليك .. على قلبك ورقبتك أيضاً .. تسيج جبال الملح خطاك .. أنت محاصر بالسقوط .. دعها تكمل حديثها .. مؤامرتها .. تتلو على سقوطك نص الإعدام .. تقبل الأمور على حقيقتها .. جارحة هي مرارة التفاصيل .. لا تكن فوضوياً كموجة عنيدة .. مد يدك ولتسقط دون مقاومة .. فالأمواج المحاصرة بالشيطان تنعم بأرجوحة المد والجزر ممتطية هذا البندول الأزلي دون تفكير ..

ألغ مثالياتك ، لقد خدعك ذاك الفيلسوف الذي قال : "ما أخرجنا إلى فلسفة كبيرة لنلاحظ ما نراه كل يوم .."

- أنت تدرك هذا جيداً وتنتهجه .. لكن هم !!!.. لا تخض عبر أو حال التفاصيل .. زلقة هي الأرض التي تنتعلها قدماك .. ستهوي قريباً .. دعهم يضعون حول عنقك سلسلة من ملح .. استمع إليها تطلب منك كلمة إيجاب .. تلميح .. إيماءة .. تهز رأسك على مستوى كتفيك ، تهمهم ، تضحك حتى يتبدى لك حلقتها.. ظننتك سقطت فعلاً .. إنك تتهاوى .. ستشرع في تكوين جبال الملح ولتستعد أنت للتزلج على جليدها من الآن ..

- وأخيراً تسقط أيها البهلوان السيئ الحظ .. لم تستطع السير طويلاً فوق حدة الأحجار ، لم تتمكن من الوقوف فوق إبر الأشواك .. سقطت أيها المغامر التعس وبعد كل هذه التجارب تنصاع لقراراتهم الصعبة .. أيها النورس المتعب الذي أنهكته لانهاية الشيطان .. يخالط الآن طعم الملح قلبك وشفتيك بفضاعة !!!..

- الآن فقط تنظر إلى صديقك البحر بتجهم ناسباً إليه طعم الملوحة التي انسابت في كل شرايينك .. وفي المختتم تتمنى لو

أنك كنت طائر بجع تعيش لا يدع الأقدار تختار له نهايته ، إنه يموت باختياره .. يموت ملء قلبه .. ينتقي نهاية لها ألف طعم، ليس بينها طعم الملح ..إنه انتحار لكنه بتعقل ..وأنت تكره الانتحار.. الذي يرغمونك عليه .. إنك تنتحر بهم ..أجل ..وتهزم ويهزم قلبك الذي مزقته التجارب والنكسات , نعم يا صديقي يهزم الإنسان حين يهزم قلبه..تتحسسه.. لا يزال ينبض بتقطع ، وثمة ألم حادٍ كوخز الأشواك البرية يحفر أعماقك .. ألسنت تمشي بقلبك على الأشواك ؟

إنك ميت .. قلبك نعشك ، قلبك مقبرة الأشواق والحب وقصص الهوى والحكايات الشائعة ،والذكريات الدامعة والחסان.. أنت مدفون بقلبك خلف ركام الذكريات الجارحة ، وأكوام الأمانى المعطلة ، وأكداس الحكايات التي تربطك دوماً بغربال السماء حين تحبل فجأة بالغيمات ، الآن تكور رسائلهن وصورهن وكلماتهن الودودة المنتفضة تحت برودة الورق كصغار العصافير ..كقلبك حين تخفق الذكريات به ، تحاول مراراً أن تحرق أهرام الأوراق والصور وبطاقات المعايدة والعناوين والطوابع وقصاصات الورق المزركشة بآلاف الكلمات المدهشة..

- مراراً حاولت ارتكاب الحريق ، أن تحرق جسر الذكريات
البهيج كي لاتعبره مجدداً ، لكنك كنت تحرق قلبك عبر اشتعال
أوراق التذكر ، وترى في أكوام الرماد ثمة قلباً محترقاً ببشاعة ..
ذاك القلب المحروق هو قلبك ياسيدي ، وأكوام الرماد التي
تجمعت حوله هو جسدك .. لم تمت كالنوارس والبجع ..لكنك مت
غريباً عن الحب والناس والليالي الطيبة والذكريات وصديقك
البحر ..مت بين أكوام الهشيم ومن تحتك تنتصب دبابيس ملح
لاتهدأ أبداً .. !!

الآن البسوك خاتماً يخنق إصبعك بعنف،ثم تحسه يلتف حول
عنقك ليكتم أنفاسك .. تلتفت إلى الخلف ، تنحني بنظرك نحو بئر
الذكريات ، فيبدو لك عفناً على نحوٍ مقززٍ .. لقد وقعت في
الشرك .. لاتقاوم .. امنع يدك من تحسس الجراح .. إنها هكذا تزيد
الجرح إيلاماً .. دعه ينزف يا صديقي على سجيته ، فالانهيار
يجعل الأمور أكثر طبيعية حتى ولو كان ذاك المنهمر دمك
..قتلوك .. لاتبتئس .. لاتتعجب فأنت لابد أن تموت هكذا حتى لا
يتبخر رافد وحيد يدهشك بإمعان ، تتمنى ألا ينضب .. أؤكد لك
أنك يجب أن تموت هكذا لأنك لست نورساً أو بجعاً أو عصفوراً

مهاجراً عبر خارطة السماوات ، أو موجة مشاكسة عنيدة تنمرد
على طوق الشيطان .. هكذا ..

- ألقِ عنادك خلف ظهرك .. ابتسم لها .. أسلم لها رأسك
تداعب خصلاته المتناثرة .. اقترب منها علّ أصابعها تصادف
بعض الدماء فتعطف على موتك المؤلم .. اجعل قمعي أذنيك
جرباً لكلماتها .. دعها تسكب في بالونة قلبك جردان الخيبة
لتننفض عبر نبضاته ، فربما تمنحه فرصة أخيرة للنفض ..
للحياة.. هيهات ..؟ لكن حاول .. دعها تحدثك عن جبال الملح
،وليالي الفرح الملاح كأى شهرزاد مدهشة ، لعلك في الليل
تصطاد شيئاً من كلماتها تحيله إلى لؤلؤة ثمينة ، فمنذ زمن بعيد لم
تعاودك اللآلئ بزياراتها العجيبة .. امنحها إصبعك .. للمرة
الألف أحذر .. أقطع صلة عينيك بثقوب السماء .. أرقص حافياً
على الأشواك

وكتبان الملح التي بدت تنداح من حولك .. ابتسم في وجه
الموت .. لاتتهتز إنك تصعد جبال الملح الآن .. ستنتحر من فوق
هذا العلو الشاهق .. فهكذا يا صديقي بإمكانك أن تغط في اختناق
عميق .. تماماً كما تفعل النوارس والبجع ، وبعض العصافير...!!

الحجاب

- ((.. أريد أن تصنع لي حجاباً للتيس ، إنه لم يعد يهتم بأمر المعزى أبداً .. لم يعد يأتيها .. وإن مر الموسم ولم تلد المعزى سنهلك .. أتوسل إليك ياسيدي الفقي أن تتصرف من أجلي ..

- ومن أخبرك بأنني أصنع أحبةً للتيس .. ؟!

- ((.. تستور ياسويدي .. تستور ..)) دعني أقبل رأسك ويديك .. إني سمعت نساء حارتنا يتحدثن عن قدرتك على علاج كل شيء ، وإنك عالجت الحاج مسعود العاقر الهرم فأنجبت زوجته ثلاثة أولاد وبنتين .. وإنك صنعت حجاباً لثور القابلة حليلة فا ..))

- كفى ..

- سأعطيك جديين عندما تلد المعزى ، وسأشعل لك الشموع ليلة الجمعة ، وأطلق لك البخور و..

- كفى .. اذهبي الآن .. وعودي إليّ مساءً ، واجلبي لي معك خصلة من شعر التيس .. خصلة سوداء .. وخصلة بيضاء من شعر أصغر عنزة ، وشعرة من شعرك الأشيب ، وخمسين ديناراً

.. ولا تخبري أحداً بأنني أصنع أحجبةً للتيس .. هل زوجك
حي ..؟ هاتِ خصلة من لحيته ..

- ليس له لحية يا سيدي !!

- من شواربه .. دعيه يحلقها من أجل التيس العزيز ..

- عادت إليه مساءً كان مختفياً خلف سحب من أدخنة البخور
المتصاعدة .. التقط منها الخرقه الملفوفة حول كومة الشعر التي
طلبها .. فتحها .. هزّ رأسه متسائلاً عن أيها من شعر التيس ،
وأيها من شوارب زوجها ..

مالك تبكين يا امرأة ..؟ هل نطحك التيس .. ؟

- ضربني زوجي من أجل شواربه التي حلقتها له وهو نائم..
- لا عليك .. غداً ترين تيسك ينتقل من عنزة لأخرى
كالمجنون ، فيهون عليك ألم الضرب ، ويرضى زوجك الأبله ..

- تطاولت بنظرها صوب الصرة المفتوحة .. تخيلت وجه
زوجها الحليق ، بدا مضحكاً وكأنه لبس قرني التيس ، فيما
شعرت بأن التيس قد أخذ شوارب زوجها ..همهمت تحاول إبطال
ضحكة متمرده .. طلب منها الصمت ..تكومت متوجسةً ترقب ما

يصنعه بكومة الشعر التي تتخللها الأبخرة المتصاعدة من كانون
الفحم .. دارت دارت في خلدها أمنيات طيبة بموسم خصيب
مملوء بقطعان الجديان الصغيرة يقودها تيسها الأثير إلى حيث
ربيعات الهناء ..

- خذي هذا الحجاب .. إنه نادر .. من أجل تيسك جعلته
بخمسين ديناراً فقط .. وهذا شيء يسير .. إن تيسك الملعون نفسه
وشوارب زوجك العجوز الأبله لا تساوي خمسين ديناراً .. ولكنك
عجوز طيبة ! ضعي الحجاب في رقبة التيس وسترين كيف
تصحو فيه الفحولة الخامدة .. إن أحببتي لايقف ضدها شيء ..

- تستور يا اسويدى .. تستور !!

- انسحبت مغادرةً تتعثر في ثوبها الفضفاض الذي يخفي
جلدها النحيل فتبدو فيه من بعيد كخيال المآة ..

- في اليوم الثاني عادت إلى الفقيه يطير بها الفرع لتخبره
بأن التيس قد شرع فعلاً فى عمليات الإخصاب بشكل لم تعهده في
أي تيس من قبل...!

تضحك بخيلاء.. " ألم أقل لك أن أحببتي لا يقف ضدها

شيء .. ؟

- تستور يا اسويدي .. تستور ..
- اذهبي أيتها العجوز البائسة . فلربما رقت شوارب زوجك فيلتهمك غضبه ..
- قبّلت يده ورأسه ، ثم انصرفت ..
- بعد أيام عادت إليه مذعورة يأكل الحزن قلبها ..
- تستور سيدي الفقير .. إن التيس لم يعد يفعل ..
- أي تيس ..؟
- تيسي الذي صنعت له حجاباً من قبل ..
- اسمعيني القصة كاملةً ..
- أخبرتك من قبل أن التيس عاد لممارسة فحولته بشكل غريب .. حتى أن زوجي تعجب لذلك .. وكان ذلك سبباً لفرحه ..
- وجد في ذلك متعةً عظيمةً رغم معارضته بادئ الأمر لفكرة الحجاب ، ظل ليومين كاملين يتابع أفعال التيس الذكورية المدهشة مهلاً لأفعاله تلك .. إما اليوم فقد ظهر التيس عاجزاً تماماً عن أي فعل ذكوري .. رفض دعوات المعزى الطامحات للإخصاب حلاًماً

بالجديان .. التيس الفاجر توقف عن ممارسة فحولته .. والموسم
ياسيدي..

- لا عليك ..

- إني أشعر بالخوف ياسيدي .. فلعل تيسي مريض ، أو
أصابته عين حاسدة ..!

وهل زوجك الآن تعاوده حمى التيوس .. ؟

طأطأت رأسها .. أجابت بخجل .. " أجل "

- إذن دعيه ينام ، ثم تحسسي شواربه .. فإن عادت
للظهور ، فسيعود التيس لنشاطه السابق..

- خرجت من عنده متعثرة .. وعند القيلولة تسللت إلى مرقد
زوجها الذي كان يصدر شخيراً عالياً كلبلية التيس.. أتته من جهة
رأسه بهدوء محاذرةً إيقاظه.. تحسست شواربه.. ذعرت..
صرخت بعنف.. فلقد كان زوجها يضع حجاب التيس حول
رقبته..!!

أربع عيون

... لازلت أذكره بكتفيه العريضتين وأوداجه المنتفخة مثل
بالون ... ورأسه الضخم الأصلع ، لازلت أذكر صوته الخشن
المرعب وتقاسيم وجهه الصارم ...

- عندما ولج فصلنا لأول مرة سبقته نحننة مرعبة ..
ألصقتنا نظراته النارية ببعضنا .. احتمينا بصمتٍ طفولي .. أنسانا
خوفنا الوقوف تحيةً له .. صاح في ارتجافنا بعنف " قيام " رعشنا
قائمين .. ظلت عيوننا تراقب صرامته التي تصل حد الشراسة ،
أجلسنا بإشارةٍ من يده ، ثم طفق يحدثنا بصرامة : " أنا شعبان
مدرس الرياضيات .

الرياضيات ليست لعباً كبقية المواد.. هل فهمتم...؟ لابد لكل
واحدٍ منكم أن ينتبه جيداً أثناء الدرس، وحين أدخل الفصل
تقطعون الأنفاس تماماً ، وتمنعون الحركة.. هل فهمتم ؟

- أومأنا برؤوسٍ مرتعشةٍ معلنين فهماً غير مفهوم .. " أنا
لي أربع عيون .. عيناى هاتان .. واثنان من الخلف .. أية حركة
تبر منكم وأنا أشرح أو أكتب على السبورة أرصدها بعيني
الخلفيتين .. هل فهمتم ؟ .

- أَمَّنت رؤوسنا باهتزازها رغم أننا لم نفهم شيئاً ، لكننا ظللنا نترقب استدارته للسبورة لنرى عينيه الخلفيتين .

تخيلتهما في مؤخرة رأسه ، بينما اعتقد زميلي في المقعد بأنهما في كتفيه المتورمتين ، وأنه يواريهما بملابسه المنتفخة .. صدّقت ظنه حين استدار ولم تظهر بمؤخرة رأسه عينان .. لكنه استطاع بعينيه المزعومتين ضبطنا تماماً .. أوقف كل حركاتنا الصبيانية التي كنا ننشرها بالفصل .. رصد أنفاسنا .. نحنحنهً واحدةً منه كانت كفيلة بإسكات مدرسة كبيرة مكتظة بآلاف الصبيان المشاغبيين مثلنا ..

- " حين تعودون لبيوتكم لأبد من مراجعة الدرس جيداً .. أي لعب في الشارع سأراه وسأعاقب صاحبه .. هل فهمتم .. ؟ " - تهتز رؤوسنا موافقةً بحركة بندولية محفوظة .

- حين عدت للبيت سألت أمي عن حقيقة عيني المدرس الخلفيتين .. هزت رأسها باسمه مؤكدة وجودهما ، كما وافق أبي على إجابتها .. وحين صحبني معه مساءً للسوق كنت منشغلاً طوال الوقت بمراقبة ظهور الرجال محاولاً اكتشاف عيونٍ خلفية لديهم ، أو إلصاق عيونٍ بأكتافهم ومؤخرة رؤوسهم .

- في الصباح حين بدأت حصة الرياضيات جمّدنا بنظرة صارمة ، ثم تساءل عمّن ذهب منا إلى السوق ..

- ارتعبت .. صلبني نظرة قاسية .. اكتشف ارتعاشي .. شعرت بأنني كنت مرصوداً بعينيه الخلفيتين .. سألني :

- هل خرجت للسوق ..؟

- نعم .

- هل رأيتني ؟ هه .. لكن عينيّ رصدتك !!! سامحتك هذه المرة لصدّك فلا تفعلها مرةً أخرى .. اجلس ...

- بعد سنين طويلة من تلك الحادثة صرت معلماً ، وحين ولجت الفصل لأول مرة خطر لي أن أفعل ذلك مع تلاميذي .. تتحنّحت .. أغلّظت صوتي .. حاولت أن ألبس نظرتي شيئاً من الصرامة ، والجدية ، أخبرتهم عن عيوني الأربع ، ومقدرتي الفائقة على الرصد مثل رادار ، وإمكانية اقتناص كل شيطاناتهم وشقاوتهم .. لكنني لم أرَ أية ردة فعلٍ على وجوههم سوى ابتساماتٍ سخريةٍ مكبوتة ..

وحين التفت إلى السبورة صاح أحدهم : " كذّاب !! "

وصاح الآخر : " أعور بأربع عيون .. !! "

- استدرت إليهم غاضباً .. شتمت أحدهم .. تنحنحت بقوة
فغصصت بريقي .. ابتسمت ابتسامة سريعة لأتدارك الموقف ..
قلت لهم : " يعجبني ذكاؤكم .. فأنا أقصد أن نظارتي الطبية
لها عينان أيضاً .. "

- لكني لم أجدها حينها إذ كان أحدهم يضعها على عينيه
ملوِّحاً لفتاةٍ كانت تعبر الشارع المزدهم .. !!

موعد المقابلة

... وقفت في الطابور الطويل ..كنت أسترق النظر إلى جنته
الضخمة كلما صرخ في إحداهن مهدداً ، فيما كان ينظر إليّ
بعينين نهمتين يختلط فيهما الإعجاب والصرامة ، وحين وصلت
إليه بعد أن حان دوري نظر إليّ ملياً قبل أن يسألني عن اسمي..
ارتبكت..أنقذني بقراءته من حافظة الأوراق التي وضعتها أمامه..
أومضت في عينيه ابتسامة وهو يتأمل صورتي .. نظر إلى
وجهي.. ثم عاد للنظر للصورة ..قارن بين الوجهين ..ابتسم فبدت
أوداجه منتفخة على نحو مرعب..وعدني بالعمل قريباً ..سألته
بارتباك عن موعد المقابلة .. أجاب ضاحكاً : "لقد نجحت من أول
نظرة..أقصد من أول سؤال..سأتصل بك غداً .. أليس هذا رقم
هاتفك ؟ "

- هزرت رأسي فيما كانت أعماقي تعج بمشاعر مختلطة بين
الفرح والارتباك والذهول...!

- انصرفت بخطواتٍ متعثرةٍ ..كان جسدي يمطر عرقاً
غزيراً ..

التفت إليه فلمحته يتأمل صورتني بفرح.. ثم دسّها بجيبه
فيما هشت يسراه طابور الفتيات المنتظرات أمامه .. " هيا
انصرفن .. لم أعد أرغب في الحصول على سكرتيرة .. لقد
وجدتها.."

- انفرط عقد الفتيات على حدّ الخيبة.. توزّعت لعناتهن بيني
وبين الرجل الضخم القابع على الكرسي كتمثالٍ من شحم..

- في الليل كانت أحاسيس متباينة تجثم على قلبي تتراوح بين
الفرح بالعمل كسكرتيرة مدير ثري بشركة شهيرة ، والخوف من
ضخامة الرجل وخشونته التي تجلّت وهو يكس بكلماته الفجّة
طابور الفتيات الحالمات بالعمل مثلي.. وبين تخيلاتي لطبيعة
عملي، وتصوراتي للطريقة التي سأنظم بها مكتبي ومواعيد
المدير وبريده وزياراته .. وبين حاجتي الملحة لبعض النقود
لشراء ملابس جديدة تليق بسكرتيرة حسناء في شركة كبيرة
تمسحها كل لحظة عيون الزوار الكبار والموظفين ، والمدير
طبعاً..!

- وبينما أنا أصبح عبر هذه الصور اختطفني النعاس.. حلمت
بأن الرجل الضخم يضعني في جيبه مثل درهمٍ حقيرٍ.. ينحني ..

يعصرني مثل ليمونة طرية.. يقف فأتمدد كخيوط بلاستيكي ..
يجلس .. يكورني مثل كرة من طين.. يتكئ.. يفركني كقطعة
عجين ..يتمدد.. يمددني معه.. ينقلب على الجيب الذي حبسني
فيه.. يسويني مثل رغيف متيبس.. ثم يقف فجأة فأتفتت في جيبه ..
فينفضني كنثرة من دقيق مسووس .. يلم نثرتي .. يضعها
على كفه .. ينظر إليها بازدياء .. ينفخها مع الريح ضاحكاً مثل
أبله..!!1

- شعرت بحركة قرب رأسي.. ذعرت.. كانت يد أُمي تمسّد
شعري لتخبرني باسمه عن الساعة التي تجاوزت العاشرة
والنصف..!!

طفلان

- لآك الحزن قلبه حتى تجعد.. غرس في أعماقه دبابيسه
الحادة .. " متى لهذا الليل الطويل أن ينجلي ؟ هذه الحرارة اللعينة
تكاد تفتك به .. "

- تتمم بها لزوجته وهو يجس جبين ابنه الباكي ، رأى إلى
عينيه الغائرتين ، وضع قطعة القطن البليلة على جبهته .. تراءى
له صفاء عينيه الدامعتين .. طبع قبلة حرى على الرأس الملتهب ..
لفحته الحرارة المتصاعدة ..

"كأنما النيران موقدة بداخله"

- التفت بها لزوجته المختبئة خلفه بعينين دامعتين..
هل سنظل ننظر إلى بعضنا مثل أبلهين ، الولد يموت بين
أيدينا ؟

انتفض ..أثاره ذكر الموت .. اللعنة !! ما الذي دعاك لذكر
الموت في هذا الوقت ؟

كاد يصفعها على فآلها السيء اكتفى بنظرة زاجرة إلى
عينيهما النازفتين .. تحرك داخل الغرفة ... اصطدم بإناءٍ فكسره ..
شتم

شيئاً ما .. خطأ صوب الباب .. فتحه .

إلى أين ؟ قالت زوجته . " إلى جهنم " ثم تتمم لنفسه "
أست فيها الآن ؟ "

- تنهد بعمق فيما طفقت جرذان الحزن تتسكع بقلبه على نحو
مفرعٍ " سأحضر الطبيب فالولد حالته تسوء جداً اعتني به ..!
ياالله أين سأجد طبيباً في هذه الليلة القارسة ..؟

- دعر لارتفاع صوت الطفل أكثر من ذي قبل .. هرع
راجعاً .. أوقفه الباب الموصد تراجع للوراء .. انهال على الباب
ركلاً .. فتحته زوجته مذعورةً .. ارتمى بجانب الطفل .. تحسس
جبينه ويديه .. انكب عليه لثماً، وثمة دمعة متسللة تمتزج بالعرق
الذي ينز به جبين الصغير المحموم... وضع عليه القطن المبلل ..
انتبه لتكور زوجته المستكين عند قدمي الطفل غارقة في
دموعها ..

- لا تقفي هكذا كالبلهاء.. ضعي القطن المبلل على جسم
الولد ..

- ولدي .. حبيبي ... إنه يموت !.

- ذعر .. دفعها بعنف .. ألقته كلمة الموت خارج البيت..
كان الظلام يقيم أوديةً للعتمة على أكتاف المدينة ، مفسحاً لريح
الشتاء المجنونة لأن تعوي باتصال مثل ذئبة مسعورة..!

- ذعر .. دفعها بعنف .. ألقته كلمة الموت خارج البيت..
كان الظلام يقيم أوديةً للعتمة على أكتاف المدينة ، مفسحاً لريح
الشتاء المجنونة لأن تعوي باتصال مثل ذئبة مسعورة..!

تفطن لخروجه بملابس خفيفة حين لسعه الصقيع .. " لا يهتم"
تحدث لنفسه متجاسراً على البرد الذي بدا ينخر عظامه مثل
منشار حاد .. أسرع إلى حيث علقت لافتة تعلن عن وجود طبيب..
طرق الباب بعنف .. لم يجب أحد .. انفتح باب الشقة المجاورة
وفم امرأة منكوشة الشعر.. نفثت في وجهه وابلاً من الكلمات
الجارحة طالبةً منه أن ينظر جيداً إن كان له عينان ..!

- لم يكن يرى شيئاً .. انجر منكسراً خارج العمارة .. تعثر
بإحدى درجات السلم .. بصق إلى حيث اللافتة .. لعن الأطباء

والنساء والمرضى ، فيما تراءت له صورة ولده المريض مشعلة
غابات من الأسى بداخله..

-ارتعش حين رأى جثة قط ميت .. صرخ في أعماقه فيما
علت الريح تعول مثل ثكلى .

انتفخ قلبه حزناً مثل بالون .. شتم سائق سيارة أجرة كادت
تدهسه ركض خلفه ..استعطفه ليحمله لأقرب عيادة ، اعتذر له ..
توسله .. قبل رأسه ويديه ..استوى على الكرسي بجواره دون
استئذان ..

- في عيادة الطبيب كانت الكلمات تخونه .. أمره الطبيب
بكلمات متتابة بإحضار الطفل إلى العيادة..

- قطع عليه توسلاته باصطفاق الباب في وجه .. عاد إلى
السيارة كان سائقها يغالب النعاس بالاستماع إلى أغنية رديئة
تتشاءب من مذياع سيارته .. طلب منه أن يعود إلى البيت لإحضار
الطفل ... كانت زوجته تنتظره عند الباب ..شتمها لتركها الطفل
وحيداً ..

- قالت مبررة : "كاد يقتلني لتأخرك .. أين ذهبت .. لم

غبت كل هذا الوقت وطفلنا يموت ..؟!؟

- صفعها .. لم تتكلم .. تحير بين أن يحمل الطفل المحموم
بملابسه الداخلية أم يلبسه ملابس تقيه البرد ..! قطع صوت
المنبه .. حيرته .. لفه بملاءة صغيرة وهرع به خارجاً .. وحين
وصل العيادة كان الليل يللم أطرافه مزماً الرحيل مخلفاً وراءه
برده المجنون وريحه العابثة ..

أعاد الطفل للبيت .. أخذ الوصفة الطبية وخرج راكضاً ..
كانت الشمس تمد أهدابها الذهبية مداعبة الكائنات ، فيما بدأت
المدينة المتكاسلة تغسل وجهها بقطرات الندى محاولة فتح عيونها
التي تناسل فيها ليل شتائي كئيب .. مرت اللحظات كسيحة
الخطا .. ظل نظره معلقاً بساعته .. تسلحت الدقائق عرجاء
واهية .. كان يشتم كل شيء حتى فرقع باب الصيدلية من الداخل ..
ظل يرتعش في انتظار أن يطل عليه الصيدلاني ..

" الله يحفظ أولادك .. ابني مريض .. لم ينم الليلة البارحة ..
حرارته لا تصدق .. يكاد يموت .. ولا أملك ثمن الدواء .. الله ..! "

التفت قلبه نحوها .. استدار برأسه .. كانت عيناها
المتوسلتان مغموستين في الحزن والدموع ..

ذعر ..أدخل يده إلى جيبه ...فيما ظلت عيناه تنتقلان بين
الباب المتثائب ووجه المرأة الشاحب ..

" الله يحفظك لك أولادك .. أنا أرملة فقيرة .. ولدي الوحيد
يموت بين يدي ..."

كاد أن يحترق ألماً .. أفزعه ذكر الموت .. أدخل يده إلى
جيبه ..لم تعثر يداه على نقود سقطت وصفة الدواء منه .. سحبها
الريح اللاهية بعيداً... ركض خلفها .. داسها برجله ثم التقطها ..

وحين عاد إلى المرأة كانت كلماتها تمطر دمعاً دامياً .. دفع
بالورقة للصيدلاني .. تفحصها..كوم له الدواء .. طالبه بعشرين
ديناراً .. لم يكن معه شيء فيما كان صوت المرأة يرتشق في قلبه
كسكين حاد .. " ولدي يموت .." حاول إقناعه بإعطائه الدواء
على أن يعود إليه بالنقود لاحقاً .. امتنع.. توسل إليه.. قذفه بقوله
"دعني من أساليب الشحاذين هذا – اذهب أنت وهذه المتسولة إلى
الجحيم..

- زوبعت الأشياء في عينيه ..مرأى طفله الوحيد يتقلب على
أتون المرض، وكلمات زوجته القلقة تطن في مسمعه ، ونحيب
المرأة التي عادت كلماتها تلح عليه مجدداً ..بستم الصيدلاني

وبصق وراء اصطفاق نافذة الصيدلية " ابن الكلب ..! قالها وهو
يستدير مسرعاً .. اصدم بالمرأة ..سقطت على الأرض .. تناثرت
الكلمات المتوسلة بين شفتيها .. مد يده إليها ساعدها على القيام..
التقت نظراتهما.. كان في عيني كل منهما طفل يصرخ!!!

الطرقات

- تناهشته الهموم .. افترسته من كل جانب .. مكث ببيته وحيداً لا يدري ما يصنعه مع هذه الهموم التي أحاقت به .

راقب أرتال النمل تخرج حبات الرمل من أرضية غرفته في حركة دائبة .. سرح متابعاً سعيها المنتظم المتواصل وهي تخرج حبات الرمل من خلال فتحات صغيرة تنتشر عبر بلاط الغرفة

- أحزانه تزداد شيئاً فشيئاً .. وأكوام الرمال تنهض حبةً حبةً.. فيما ظلت الهموم المتوحشة تفتك بقلبه المنهك .. " لا حل للهروب من طائلة الديون سوى بلزوم بيتي .. الدائنون سيفتكون بي إن خرجت .. !! "

- طرقات متوالية على الباب .. ضجيج في رأسه .. الطرق يتواصل ، وضجيج رأسه يكاد يعصف بجمجمته المتصدعة ..

أكوام الرمال تتعالى .. وأرتال النمل ماضية في سعيها الدؤوب ، رأى إليها .. أثار كدحها في نفسه شيئاً من الحيوية .. أراد الوقوف ، لكنه تراجع حين تذكر تربص الدائنين به .. اتكأ متوسداً إحباطه وهمومه .. ألصق بصره بالسقف المتشقق ،

عصفت الريح خارجاً .. ردّ الرعد بزمجرةٍ مخيفة ارتعدت لها
أعضاؤه ومفاصل باب بيته القديم ، فيما أنشأ المطر يضرب بعنف
وجه الأرض المصعّر نحوه بشراهة ..

- سرح مراقباً سطح غرفته الذي بدأ ينشج كأنف مزكوم ..
قال في نفسه " ليس جيبي فقط المثقوب .. فحتى سطح بيتي ..
باللمصيبة !! "

- قطع سرحانه صعود نملة على ساقه العارية .. ارتعش ..
أعاد النظر لأرتال النمل .. كانت لاتزال تجد في استخراج
حبات الرمال خارجاً غير عابئة بالريح والرعد والمطر وسعاله
المكدود الواهن .. !! سمقت الأكوام عالياً .. ازدادت أكاداسها
عدداً، وفي قلبه ظلت تنبت على نحو رهيب دمامل الحزن
المعتق..

- طرقة على الباب ، وأخرى على النافذة .. وصوت بوق
سيارة يعرفها جيداً .. استرق النظر عبر فتحات النافذة كانت
الوجوه متربصةً بخروجه .. علت أصواتهم مهددةً .. تراجع
للوراء .. نظر إلى الأنمال المصطفة بانتظام .. استجمع شجاعته..
تقدم خطوة .. تراجع أخرى .. ازدادت الطرقات على الباب

والنافذة .. خطا نحو الباب .. تخطَّى أكوام الرمال .. سقطت رجله
على بلاطة أخرج النمل ما تحتها من الرمال .. سقطت البلاطة ..
غاصت رجله .. كسرت .. كتم صرخة ألم حبلى تجمعت من عمق
أعماقه .. لاذ بالصمت الموجوع فيما استمرت الريح والرعْد
والمطر وأيدي الدائنين تطرق بابه وقلبه على نحو موصول .. !!

رجل البحر

- ألقى على الرمال .. مسح البحر بنظرة فرحة .. بدت في عينيه ابتسامة .. اتصل بالبحر عبر صنارته.. رأى إلى دوائر الماء المتكونة بفعل اصطدام الصنارة بالبحر .. تكوم مثل صرة .. انقطع عن العالم .. فاجأته من خلفه .. ألقى عليه التحية .. رمقني بنظرة غامضة وتوغل في البحر من جديد .. أعدت تحيتي .. كرر انشغاله عني .. جلست قبالة .. جهزت أدوات الصيد .. لم يعرني اهتماماً .. حاولت أن أقلد اتصاله بالبحر .. كانت نظراته التي يصوبها نحوي بين الحين والآخر - تصح لي أخطائي .. فيما يزجرني - أحياناً - بهزة رأسه الأشيب..

- فيما كانت السماء تقذف كرتها الأرجوانية صوب المغيب.. كنا لا نزال نحاول إغراء سمكة ما بالوقوع بسنارتينا .. ألقى الليل رداءه على الكون .. ولم نصطد شيئاً ..! لملت أدواتي مزماً الانسحاب .. رمقته بنظرة مندهشة ..بدأ البرد ينخر العظام.. والموجات تمارس ألعاباً شيطانية يجتاز أثرها صخور الشاطئ.. عنَّ لي أن ألتقط له صورة .. تتحننت وأنا أصوب عين العدسة نحو تكوُّره المثير..التفت إليّ.. ظهر عبر إطار الصورة بوجهه

المتغضن وشاربه المبيض كأنه جزء من البحر .. ضغطت على
زر العدسة .. أومضت .. ارتعش .. شكرته .. فيما هز رأسه
منكراً فعلتي .. ودعته منسحباً.. كان لايزال متصلاً بالبحر .. أو أن
البحر متصلاً به..

- أعجبتني الصورة .. ظهر فيها بملاح بحرية جميلة.. كان
البحر يصنع وراءه خلفية لازوردية مدهشة .. خطر لي أن
أكبرها.. وضعتها في إطار يليق ببها.. ازدادت الصورة
جمالاً.. كان إطارها الترابي يحيطها كما تفعل الرمال بالشيطان ..
وضعتها عند رأسي ..

- آخر الليل هبت عليّ أنسام عطرة..

فيما تغلغلت رائحة البحر إلى أعماقي .. شعرت بالانتشاء ..
وبرائحة الأعشاب البحرية .. خيل لي صوت ارتطام الموجات
على الصخور .. وتراءت لي دوائر الماء المرتجة بفعل انفلاق
البحر بالسنارة ،ثم سمعت صوت اندلاق الماء .. ازداد الصوت
قوة .. شعرت بالبلل .. بالغرق ..صحوت مذعوراً .. تحسست
الصورة.. كانت مجرد إطار خارجي كئيب تعلق على حوافه
حبيبات ماء متناثرة..!!

بنت الشمس

- "يا صفراء " .. غضبت .. بكت بحرقة .. بكل ما أوتيت
من نحيبٍ .. لأن شعرها أشقر .. عيرتها زميلاتها بصفرتها..
قالت لها إحداهن :

"كأنك برتقالة" وقالت الأخرى "بل كأنها شمس الصيف"..
هددها البكاء .. توسدت حقيبتها .. أغراها الحزن بالنوم .. اقترح
عليها الارتواء في أحضانه المخدرة.. استسلمت لإغراءاته..
انحنى الشمس على رأسها .. قبلتها .. أجرت يدها على خصلاتها
المتكاسلة .. طفقت تمشطها.. صار شعرها يتراقص مع هبات
النسيم المغازلة ..جدلت الشمس شعرها ضفيرتين من أشعة ..
أعجبها اصفراره .. أغرتها اللجة الذهبية البراقة .. قررت
الاختباء فيه هرباً من عيون الناس ومطاردة الليل .. تدثرت به..
وشى النسيم بها حين داعب الشعر العسجديّ المدهش .. انتشت
بعطرٍ ينثال من بين الضفائر .. تقافزت بين الضفيرتين.. اتخذت
منهما سلماً ممتداً إلى كُنَّاسها .. رفضت الرجوع إلى بيتها ..
شعرت كأنها منذ زمن بعيد كانت تخطئ الطريق لبيتها..

- بكت الشمس .. صحت الصغيرة .. أفزعتها قطرات الدمع
الذهبية الساخنة تلثم خدها.. قامت مذعورة .. ذهلت الشمس ..
التصقت بالجدائل الذهبية .. تسلفتها .. احتضنت ضفيرةً بين
ذراعيها.. التفت بها .. رويداً رويداً كانت تصعد نحو السماء..
امتلات السماء بالنور .. تبسمت وسط الظلمة فجراً ضحوكاً ..
أوقدت مصابيحها .. بدت كأنها تقيم عرساً ... توسطت السماء
كانت عروساً.. احتفت النجوم بها.. زفتها للقمر.. كان عرساً
مشهوداً... عاشت السماء ليلة مضيئة.. وزعت فيها الكواكب
عناقيد الضياء عربوناً للفرح.. توضأت الحياة بالنور.. انحنى
صوب الأرض كانت تبدو كـرغيفٍ محترقٍ .. نظرت إلى
شارعهم .. لمحت صديقاتها ..كن يتغنين بفرح "يا شمس يا
شموسه.. ياأعوية العروسه..!" لوحت لهن محية.. رفعن
رؤوسهن نحوها.. صاحت إحداهن تناكدها: "يا صفراء..." يا
برتقالة ... " قالت الأخرى، بكت بحرقة حتى التهب عيناها ..
احتضنتها الشمس .. وسدتها حضنها .. مسحت على شعرها
المتسلل نحو الأرض .. نامت .. رأت الأرض في حلمها .. بدت
لها متييسة كعجوز تخوض في أودية الظلام..!!

الوخزات

- ضلعت نحوه.. كانت تقطرُ حرجاً وخجلاً.. أصلح
عمامته.. دنت منه.. هبت عيونه.. قلبه ومشاعره لاستقبالها..
اقتربت.. أحاطتها العيون الجائعة.. ظلت تنهش ليونتها وشبابها
بنهم متوحش.. مدت رجلها باتجاهه.. ضجت دواخله.. تلفت
مزهواً بالصيد الثمين.. أصلح جلسته فيما تسمرت نظراته على
القدم الناعمة التي امتدت أمامه كشلال ضوء.. كعمود رخام..
سرح متلذذاً بمشهد لم يحلم برؤيته ، مستذكراً قدم زوجته التي
كانت تبدو له على الدوام كجذع شجرة نخرة.. علت تعليقات
زملائه.. صوتها الهادئ الرخيم يستحثه بالإسراع في رتق حذاءها
الممزق.. علق بصره بوجهها.. أحس بالشمس تتحني باتجاهه..
وخزته الإبرة التي كانت يمناه تتلمسها.. حرّك يده في الهواء
بتلقائية فيما كانت يسراه تمسك بالحذاء الممزق .

- وخزة في الحذاء.. ووخزة في القلب.. الحذاء يلتئم شيئاً
فشيئاً.. وخزة وخزة.. فيما يزداد شرخ قلبه اتساعاً.. ظلت نظراته
تلحق متلهفةً شلال الضوء، وفي قلبه تنبجس شلالات وجد لا
نهائية !!

- وخزة في الحذاء.. وخزة في القلب.. تصببت عرقاً..
تصبب شبقاً مجنوناً.. تعليقات رفاقه المناكدة كانت تلقي به إلى
قعر الحنق.. كاد أن يلكر أحدهم بمخيطه.. لكنه خشي أن يفقد
لحظات النظر إلى عمود الرخام..!

تصببت إصبغه بدم وخزة عنيفة . . نفضها في الهواء ..
لحسها بلسانه.. توالى الخزات في كل الأيدي . . ازداد الخبز في
قلبه . . شارب الحذاء على الالتئام . . أشرف قلبه على الانفطار ..
اندلقت شلالات الوجد في كل القلوب . . اتسعت العيون حين
تحركت لتغيّر وضع قدمها المنتظرة . .

هتف أحدهم : ما أجمل الشمع !!

صفعه بنظرة محذرة . .

قال الآخر : خاصة شمع العسل !!..

وأضاف الثالث : وما أروع الشمع مشتعلاً . . !!

.. اشتعلت أعماقه . . تمالك نفسه .. لم يشأ أن يحيل المناسبة

الباهرة إلى معركة سخيفة عن الشمع . .

ظلت تقطر خجلاً .. اشتعل الازدراء بقلبها . . كادت أن
تشتتهم جميعاً وتمضي..لكن..!

اندلع بقلبه الحقد على رفاقه الذين حسدوه على شلال
الشمع.. تمنى أن يبدلها بالشجرة المنخورة التي تكثر الشروخ في
قلبه المتصدّع ..!

انحنت لتتظر حذاءها . . لفتته موجة من عطرها . . انحنت
العيون عليها . . انحنى قلبه المتفطر . . شعر بأنه ربح - لأول مرة
في حياته - شيئاً ثميناً !!

لحظات من فرح . . عوالم من خيال أثير . . أنبوبين من
طل.. وعطراً ساحراً أخاذاً . . أحسّ بحياة قلبه . . شعر بنبضه . .
إنه يتحرك . . بل ويتفطر أيضاً . .

لأول مرة يدرك معنى الحياة . . ويعرف معنى الحب الذي
سمع عنه كثيراً في الأشعار الرديئة ، والأغاني المبتذلة ، وفي
حكايات المراهقين . .

بحث عن مدخل للحديث ..سألها عن رقم حذاءها..

- كرقم عقلك ..!

- صدمته إجابتها القاسية وتضاحك الأفواه الشامتة ..نفخ
يده.. نكس رأسه صوب الحذاء..

- وخزة في الحذاء .. وأخرى في القلب ..

آه ... قالها بصوت عالٍ .. حين وخزه المخيط .. !! أدرك
حجم العذاب المهين الذي يعانيه المرء حين يكمل أيامه بين
وخزات المخايط ، ووخزات أغصان شجرة عجوز متييسة تقاسمه
عمره ..

راقبها تبتعد مخلفة وراءها عطراً بهياً ، وصورة رائعة
لشلالٍ من ضوءٍ .. وعمود رخام .. وحسرة في قلبه .. قلبه الذي
اتسعت خروقه وظل ينزف باتصالٍ رهيبٍ !!

معلًا

- (مات) التفت بها الطبيب الأجنبي إلى ..
- من ..؟
- (هذا الرجل) ..
- ونزلت كلماته صواعق محرقة على ارتعاش قلبي ..
أرسلت نظرةً يغلفها الذهول حيث أومأت كلمته الرصاصة..
رمقته بأسى كان مسجى مثل مولود جديد وآخر قطرة من
دمه تلحقها ثيابه البيضاء والملاءة الرثة التي غطى بها.
- (مات) .. واهتزت الأبعاد أمام ناظري ، وثمة دمعة حرّى
تخاتل فجاءة عيني ، ووجع القلب الموصول الطعنات باطراد ..
- (مات) .. وتداعت أمام ناظري تفاصيل موته الحزين .. كان
اسمه (امعلًا) اعتاد أن يزرع أرض الله باتصال موزعاً ابتسامته
المجانية البرئية على الجميع صغاراً وكباراً .. يلتقط الناس من
برائث أحزانهم إلى أحضان صدقة وابتسامته .. لا أحد يعرف متى
يأتي ولا من أين يأتي !! يفاجئك بعفوية كرمشة عين . ويفارقك

كأي حلم زار عاً على شفتيك ابتسامة تستغربها كثيراً .. وتستعذبها أكثر.

- اسمه معلق على شفاه الصغار كقناديل العيد .. فهو يلاعبهم بحنو أبٍ ، ويؤنس الكبار بسرد ذكرياته المرة ، وتوجداته الملهوفة عن محبوبته المستحيلة التي يرى أنها سبب جنونه رغم عقلانيته المعلنة.. ويفارقهم وهو يدس في أذهانهم آخر كلماته البائسة عنها.

(مات ..) كانت تتهجي قدماء الطريق وابتسامته الساطعة تعانق شفتيه .. ويده تلوح بالتحية لرجلٍ ما .. الابتسامة نفسها واليد ذاتها .. لازلت أذكر ذلك كأن الأمر يحدث أمامي الآن .. السيارة المجنونة تطمس تحت هدير كوابحها آخر كلماته .. تدهسه وكأنها تعبر طريقاً شائكاً .. بدا خلفها متمدداً في خشوع والابتسامة ذاتها تسيل لتحاكي الدماء النازفة بغزارة .. التف الناس حوله في توجعٍ وذهولٍ .. ومن بين أكداس الأجساد المتراسة المفزوعة ظلت ابتسامته تلوح للجميع مودعة عوضاً عن يده المبتورة .. كانت أكثر إشراقاً وصدقاً ..

- (مات ..) لازالت كلمات الطبيب الأجنبي تهاجم قلبي
بمرارتها .. عبثاً أدفعها بعيداً عن سمعي .. لكنها لا تفتأ تراودني
عن فجيعتي فيه، وتنسكب في أعماقي كأسراب جرذان مجنونة ..
أذكر المرة الأخيرة التي رأيته فيها قبل حادث موته .. كان قادماً
للمسجد لأداء صلاة المغرب .. كان الناس قد فرغوا من صلاتهم
وظفّقوا يؤمّنون خلف الإمام، فإذا به يدلف إلى المسجد وماء
وضوئه يتهاطل من وجهه ويديه، ليجتو على ركبتيه شاهراً يديه
بالحاح مؤمّناً بالدعاء .. ضحكت حينها من أعماقي مستغرباً فعله
وهو لم يصل بعد !! .. وحين أخذ الناس يغادرون المسجد سمعته
يرتل سورة (الناس) في صلاته بحفظ عفوي غير دقيق ..

(مات ..) تجمع الناس عند مدخل الغرفة التي سجّى فيها
جسده الناحل المخضب بالدماء .. أصيبوا بالذهول كمن يجد عقرباً
بين ثيابه .. وسط الهمسات والترحمات والدموع التي تمارس
فعلها الموجه .. انتظرت حتى فرغ الناس من تجهيزه للدفن ..
وفيما كانت يمناي ترد سيل الدموع عن وجنتي تذكرت تحنانه
الذي أسّره إلي ذات اشتياق ليوم عرس يجمعه بتلك التي سرقت
منه كل شيء وحديثه عن (الكاط الزيتي والجرد الأبيض) وقنينة

العطر التي جلبها من رحلة الحج ترقباً لهذه المناسبة الغالية المستحيلة .

(مات ..) وسط السيارة التي سجّي فيها جثمانه كنت أتخيله يرفع صوته بهمماته الجميلة التي اعتادها ، ومن ثم يرسل على الوجوه ابتسامة ساحرة ويمضي .. ها قد مضى والوجوه التي كان يضاحكها ها هي تتجهم حول تمدده الحزين .. في صمتٍ أضع من الموت نفسه ..!

(مات ..) المقبرة تكتظ بالمشيعين .. والأصوات تعلو .. تخفق .. وحدي كنت أنظر إلى قبره .. لم يفرغ الناس من الصلاة عليه بعد .. هنا ستدفن أصدق وأروع ابتسامة .. وهنا سيوارى وجه يشع طيبةً وبهاء .. حين أدركت المصلين كانوا قد فرغوا من الصلاة عليه .. غالبتي الدموع وأنا أرفع كف الضراعة مستمطراً شأبيب الرحمة له .. خلته بين هذه الجموع الدامعة يجثو على ركبتيه وماء وضوئه يتقاطر من أطرافه المرتعشة .. يرفع يدين متوسلتين نحو السماء ..

(مات ..) النظرة الأخيرة تلقيها عليه الجموع .. من خلف القماش الأبيض كان ثمة ابتسامة باهتة تباغت صمت الجميع

ووجعهم ودموعهم .. ظننته يهبها لهم جميعاً عرفاناً بمشاركتهم
فى موكب موته المهيّب .. كان يود استضافتهم فى غير هذا
الموكب .. وغير هذا المكان .. لكن .. ياللمصيبة !! وحين كان
التراب يطفئ آخر شعاع الابتسامة الوضيئة علت أصوات
المشييعين طالبين له الرحمة .. خلته يباغتهم من خلفهم ليشكر
الجميع .. كل الذين كان يشاركهم أفراح حياتهم فجاءوا ليشاطروه
موته!!

حدث ليلة عرس

- ذاك المساء عصرت السماء وجهها الإسفنجي طويلاً حتى فاضت كؤوس الأرض العطشى ، وأضحى بإمكان المرء أن يرى صورته تتراءى بلمعان عبر غدران المياه ، فيما تسترت الشمس خلف غيمة حبلية منتفخة بإمعان . الزغاريد المفعمة بفوح المساء الطيب ظلت تحاكي صبيب المطر فيما كانت (غناوي العلم)* المتدفقة من أفواه الرجال تغزل خيوط الفرح حين تتعانق في وله حميم مع الزغاريد فتفرشان المساء بحزم الأحلام المجنحة .. بدأت مراسم العرس ، فيما ظل جبين السماء يتصبب مطراً ليغرق مناديل الأرض العطشى في غزارته .. على الأرض بدا قوس قزح ملتفاً في ألقٍ دائري حول خصرها كشریط يحضن هدية عاشق لحبيبته .

- ذاك المساء كان خميساً مرشوشاً بالمطر والفرح والتعب والمغامرات، فلقد تمرد الجمل الذي أعدّ ليحمل عليه (الكرمود³) - على فرح القبيلة ، أنشأ يتواثب مرغياً مزبداً بجنون .. ثائراً في وجه الجموع المسكونة بالسعد والدهشة ، محرّجاً انتظار العروس

³ المودج في اللهجة الليبية

الصغيرة التي عكفت تنسج لتلك اللحظة الذهبية الحضور آلاف الأغاني الجميلة . توالى الرجال محاولين كبج تمرد الجمل المارق، لكنهم عجزوا عن ترويضه .. صاح والد العروس الكهل والذهول بتسرب دمعاً بارداً من مقلتيه أمراً ابن أخته باستدعاء (رجب) الفتى ذي الوجه الأسمر الشامخ .

- تداخلت الأصوات .. لكن كان بمقدور المرء أن يتبين هدير الجمل المحتج على دموع الفرع المختلطة بدمعات السماء .. كانت عين الشمس تذرف دمعة أرجوانية حين وصل الفتى الأسمر ذو القامة الفارعة ، دلف إلى حلبة الصراع ، أفسحت الجموع لساعديه الطريق ، فيما اتسعت العيون ترقب الصراع العنيف بين الفحلين ، تلاشت الأصوات كأن الألسن قد سقطت في البطون .. صوت واحد ظل يزمجر بصلف راداً على عريضة الرعد وتجهم ذاك المساء .. طفق الفتى يدور حول خصمه مناوراً ليقتنص نقطة ضعف يقال إنها في رقبة الجمل .. استدار حوله في حذر .. وضع ثوبه في فمه .. انحنى نصف انحناءة .. بدأ متأهباً كأنه في ركوع .. خطوة للوراء .. أخرى للأمام ..

- قفز على رقبة خصمه .. نفضه الآخر بعنف حتى فرقعت
فقرات ظهره .. تمسك به التف حول عنقه .. رفعه إلى أعلى ..
هبط به .. ارتفع .. رفعه مرة أخرى ارتميا على الأرض معاً ثم
غرس أسنانه في عنق الجمل وثمة دمع بارد يخاتل عينيه ..
تداعت الجموع المهللة للنصر البشريّ مرتمية على ارتماء
الجمل المستسلمة .. زرع الفتى الأسمر الدهشة في العيون ثم
تسلل منسحباً بأثوابه المغروسة في الوحل والطين ، وثمة ألم حاد
ينبض أسفل ظهره بإطراد .

- في بيتهم كانت آلام ظهره تقرع على نحو موصول ، حين
لبس الليل عمامته الرمادية وطفق ينشر عبر فجوات السكون
تهاليل العرس السعيد والزغاريد و(غناوي العلم) . و(مجاريد⁴)
صديقه الشاعر التي كان يسرد عبرها مآسي وأحداثاً وقصصاً لم
يعرفها قط ، ظلت آلامه تطرحه أرضاً وتسكب جردان الخيبة في
صدره ببشاعة ، فيما كانت فتيات (النجع⁵) يتلصصن عبر فتحات
البيوت على صفوف الرجال المتحلزنة بشغف حول (الحجالة⁶)

⁴ المجاريد نوع من الشعر الشعبي الليبي

⁵ النجع: مجموعة بيوت الشعر العربية عند أهل ليبيا

⁶ الحجالة: الراقصة الشعبية في الفن الشعبي الليبي

مترقيات ظهور جبينه الأسمر بين أكداس الرجال المزروعة
جباههم بحبات العرق والرمل والمطر .

- إلى مسامعه تتناهى طقوس العرس .. وعبر وميض البرق
كانت حبات الدمع تلمع وهي تسقط فوق عباءته قبل أن يتمثل
للنوم .

- في الصباح حلت الشمس غداًها المحناة بالحمرة وبدت
تمشط خصلات شعرها ليتهدل على الوجوه المتعبة العيون المعبأة
بالفرح والحلم والنعاس .

تتأهى إلى سمعه صوت والد العروس وصديقه الشاعر
وبعض الرجال ينادونه ، زعر حتى أوجعه ظهره .. قفزت يده
لتمنع فم أمه من التحدث . ألصق شفتيه بأذنها وهمس قائلاً : " إن
سألوك عني قلوا لهم .. إنني لست موجوداً ، سوقي لهم أي عذرٍ
آخر .. سافر .. رحل .. مات ؟! إلا أن تقولوا لهم إنني طريح
الفراش !! " .

البطاقة الأخيرة

- " .. إلى الجحيم .. " وارتفعت حزنها الأبدى باكية ..
بصقت الأشياء جميعها بنظرة احتقار ثم أمعنت فى بكاء مرير ..
"إلى الجحيم .. " توقفت .. استندت على بقية من وعيها .. نشجت
بحرقة فيما لمع بذهنها تساؤل قاسٍ " ألسْتُ في الجحيم الآن ؟ "
- عادت لعذابها وثمة أوراق متناثرة تلطخ ذوقها الرفيع في
ترتيب الأشياء .. نحتت حتى احمرت عيناها ، وحين رفعت
رأسها لترى فوضوية الأشياء تصنع الجحيم من حولها ، تجلت
أمام ناظرها فوضوية الغرفة .. صور .. ورود .. وجوه ..
عرائس .. عربات تحمل عرساً .. نجوم وأقمار .. حمائم
وعصافير .. حطت صوب أكداس الأوراق .. كنستها بعصبية في
مرات ثلاث .. وتوقفت مسندة رأسها على الجدار ، فيما استضافها
البكاء على أرائكه المخدرة .. دخول أختها الكبرى زاد أوار
جحيمها اشتعالاً .. رمقتها بعين كارهةٍ .. بصقت نحو هرمها
وعنوستها واختبأت خلف نحيب حزين متواصل ..

- ظلت تساؤلات أختها تزرع أشواك الحسرة في كل مسامها.. تفتح السنة الذهب عبر شرايينها .. وحين خرجت دون أن تجد مبرراً لهذا العذاب وهذه الفوضى .. تلصصت عيناها على أكوام الورق التي تكسو أرضية الغرفة .. انتشلت من بين تكايا البكاء نفسها المعذبة .. أضحت كفها منديلاً .. انتفضت عبر حشرجتين كمن يفجع بتتابع .. التقطت أولى الأوراق .. قبلتها .. تاريخها مضى عليه عشر سنوات .. هي أول بطاقة دعوة من صديقة طفولتها (منى) التي تزوجت وانتقلت إلى طرابلس ولم ترها بعد ذلك .. هزت رأسها بأسى فيما التقطت يmanها بطاقة أخرى .. وهذه المسيجة بالورد مضى عليها عشر سنوات أيضاً .. إنها دعوة زفاف زميلتها بالعمل (فتحية) استعرضت في توالٍ دعوات زفاف صديقاتها .. إيمان .. سعدة .. نواره .. فاطمة .. وابنة جيرانهم (نجاح) فتسربت من بين أجفانها قطرات حرى .. وحين تحركت يmanها لتوقف القطر كانت يبسراها تمسك هذه الدعوة (عائلة) تتشرف بدعوتكم لحضور حفل زفاف ابنتها (هناء) .. أمسكتها بعنف ثم تمتمت لنفسها قائلة (هذه البطاقة

بالذات يجب أن تمزق .. أن تحرق .. فصاحبة الدعوة تصغرني
بأربع سنوات .. مزقتها مستعملة يديها وفمها معاً .. رمتها فوق
الأكداس فيما تداعت في جنون تمزق بقية البطاقات وهي
تصرخ: إلى الجحيم .. إلى الجحيم .. إلى الـ !!

وحين ازدادت فوضى الغرفة ، وعاد الدمع يلفح وجهها
كانت تبدو بالمرآة امرأة خريفية تسرب ربيع عمرها من بين
أصابعها .. مرات عديدة رفضت أن تعيش ربيعها .. أن تجد
عصفوراً حانياً يصنع لها عشاً صغيراً جميلاً بين أغصان الحياة..
هففات جناحيه ترسل نسائم حياة خرافية تعيد للأوراد بهجتها
حين يداهم الخريف أشجار العمر .

"يا للعذاب أنا الآن في مهب الضياع ..رياح الحسرة
تلسعني.. وتبعثر أوراقى بجنون العواصف .. إلى جحيم سحق
أيتها الأوراق الملعونة .. لست أغلى من أوراق ربيعي .. ولا أثنى
من عمري المنتور هباء ..."

- منذ عشر سنوات دأبت على تجميع بطاقات دعوات
الزفاف ، تبالغ في تصفيفهن .. تحسبن كل ليلة .. تجري
حسابات دقيقة بين تواريخهن .. حفظت اسم صاحبة كل بطاقة

وتاريخ زواجها من الوجه الخارجي للبطاقة ، وتتذكر عبرهن وجوه صديقاتها اللاتي تزوجن .. اللاتي عرفن كيف تورق مواسم الفرح في حقول أعمارهن الخصبة .. كان التسلي بقراءة البطاقات حتى تنام هوايتها المفضلة لديها .. كانت كثيراً ماتجري مقارناتٍ بين أزواج صديقاتها .. هذا ليس كفؤاً لفلانة .. وفلانة ليست جديرة بفلان ..

وحين يشطح بها الخيال تغير بينهم فتزوج هذه لذاك ، وكأنها تقيم أعراساً جديدة .. فيخيل لها أنها تحضر الأعراس الآن.. ثم تتصور نفسها عروساً أجمل وأبهى من كل العرائس ، وعريسها أجمل عرسان الأرض.

- البطاقة الأخيرة التي وصلتها هذه الليلة صنعت من حولها جحيماً حقيقياً ، فهي قد أوصلت عدد البطاقات إلى رقم أسود لأنه تاريخ ميلادها الحزين نفسه.. توقفت عن النحيب .. خطت فوق أغمار الأوراق الممزقة .. رفعت سماعة الهاتف الذي بح رنينه ، صوت صديقتها تهاتفها يفرغ في آخر هوة بنفسها ما تبقى من سكير.

- هل أنت جاهزة للذهاب لعرس صديقتنا فريحة ؟

- لا .. لن أذهب ..

- والدعوة .. ؟

- مزقتها .. أحرقتها .. إلى الجحيم .. إلى الجحيم .. كل
الدعوات .. وكل الصديقات وكل النساء والرجال أيضاً .. اتفوه ..
... أقفلت الخط بعنف .. وقفت تحيط رأسها بيديها وقد بد
شعرها متطايراً في دهشة ثم تهاوت بين الأكوام الممزقة فيما بدت
يدها اليمنى وكأنها تقطفُ وردَ آخرِ بطاقةٍ .. !!

وجه في مرآة

فاضت المرأة بك ... كنت لاتزال وجهاً جميلاً يفيض ألماً
ونوراً وبهاءً ... ابتسامتك اتسعت عن ذي قبل ... عيناك تدندنان
بأغنية الحضور البهي ... لا أدري كيف تبرق في الذاكرة حلماً
حميماً رائعاً لا يغيب ! فكلما نظرت في المرأة لأبصر وجهي
يفاجئني وجهك وعيناك الزاهيتان وشاربك الأبيض الطويل الذي
كنت تمسده زهواً وتفخراً .. أراك الآن تدير رأسك يمنةً وشمالاً
تصلح من وضع شاربك ، تخرس تمرّد شعرة ناشزة .. وفي كل
مرة تأخذني الحيرة هل أنت احتللت المرأة أم استعبدت الذاكرة ؟

هذا الصباح واجهت المرأة ، تناسيت فعلها السعيد الحزين
معي ... أقلت عيني حتى لا تباغتني إطلالتك السعيدة ، بدأت
العد ... واحد .. اثنان .. ثلا .. ثة .. فتحت على مهل عيني ،
أشعلت الضوء الذي يعلو المرأة فاجأني وجهك رائعاً كما كان ...
أحضرت أدوات الحلاقة ... دفنت وجهي في أمواج الرغبة
الكثيفة لم تبق غير عيني لتراك .. أجلت الموسيقى على ذقني
لأحلقه .. ياللفظاعة !!

لقد كنت أحلق وجهك .. هزرتي المفاجأة .. سالت الدماء على
خدي .. أطفأت الضوء .. أقفلت عيني تركت دمي يسيل وجرح
ذاكرتي أيضاً ..

خطوت خارجاً ، قابلني ابني الصغير ، أضحكه منظري ،
آلمه دمي ، أيقظتني سؤالاته المرتبكة عن دمي .. تحيرت أدخل
ذاكرتي ؟ هل رآك فيها ؟ فيما كان نقر الدم على كتفي يغني أغنية
الانتكاسات الحزينة ..

عدت مسرعاً للمرأة ، أمسكتها بعنف ، حاولت أن ألقياها
أرضاً ، ظلت تسيل لمعاناً وألقاً ، جذبتها ، ضممتها إليّ ، التصقت
بصدري ، أحسست دماً دافئاً ، رفعتها قليلاً ، طالعني وجهك
مبتسماً وضيئاً ، وجهاً جميلاً كما تصورتها ، انهمرتُ على المرأة
أقبلها أقبل وجهك الوضيء .. اختلطت القبلات بالدماء والدموع
تحسست شواربك .. صارت أجمل وأطول .. تفاخرت بها مثلك ..
اتسعت ابتسامتك لفعل حفيدك ، لم أشأ أن تلوث الدماء رونق
ابتسامتك المذهلة .. أسرعت يدي لتزيل الدماء عن شواربك ..
سقطت المرأة ، تهشمت ، انكفأت عليها ، ظلت أبكي من أعماقي
لمحت عبر شروخها وجهك كانت ابتسامته مشوشة فيما بدت

شواربك وكأنها قد قصت بعبث وفوضى ، وفي ذاكرتي كانت ثمة
ابتسامة بهيئة ووجه جميل ، وشوارب شامخة ، وصورة مشرقة لا
تمحى تتحدّى الشروخ والسقوط والنسيان ...

في مهب ابتسامة

- هبت الريح من كل اتجاه .. اختفت كل المعالم والأبعاد
وكأن الدنيا أعلنت الجنون .. وسط عويل الريح المزمجرة في تحدٍ
كان صوت الراعي يسكب في أذني والدي خبر ضياع القطيع ..
مرتعشاً .. التقط حذاءه وانطلق مسرعاً فيما تسمر الراعي في
مكانه .. تسالت خلف انطلاقته الفرعة .. لم ينتبه للهاثي خلفه إلا
بعد أن ابتعدنا عن النجع كثيراً .. لم يكن بمقدوره إرجاعي
فالعواصف الترابية لطخت وجه الأرض بالصفرة المغطية حتى
استعصى تمييز الاتجاهات .. نظر إليّ معاتباً ثم سحبني خلفه ..
سيره المفزوع كان محاطاً بمخاوف كثيرة من شبح هلاك القطيع
بين أنياب الذئاب الشرسة التي تكمن متربصة بالوادي المجاور .

توقف .. مسحني بنظرة إشفاق .. كانت قدماي الحافيتان قد
أنهكتهما الأشواك والحصى .. قبلني ثم استدار حول نفسه ، نظر
إلى السماء ، لم يكن ثمة أمل يلوح في الأفق .. انحنى .. ضرب
الأرض بيديه .. مسح على وجهه .. أعادها ثانيةً ومسح ذراعيه ..
وقف مصلياً بحذائه .. ومن خلفه كنت أردد الأفعال نفسها دون
وعي مني .. كان صوته مملوءاً ضراعةً واستعطافاً .. ألقى السلام

على يمينه ورفع يديه ضارعتين صوب السماء ، لم أفهم الكلمات التي كان يتمتم بها فلقد غلبه الدمع فمزج الدعاء بالأنين .. خيل إلي أنني رأيت في كفه صورة القطيع ، وفي الأخرى أُمي وأخوتي الصغار .. حين سرحت بفكري مخمناً فيما قد يحل بأسرتنا لو أكلتنا الذئاب !! قطع انشداهي بمسح يديه على جبيني ثم أشار إليّ مؤذناً بالانطلاق .. لم نسر إلا خطوات قليلة حتى فاجأنا ثغاء القطيع .. ركض نحوه مسرعاً .. وعدوت خلفه كان القطيع يربض قبيل الوادي بقليل تتقاذف حملانه الصغيرة في فرح غامر كأنها تحتفي بنا .. وفيما كانت الريح تبتلع غضبها المحموم وتنسحب مخفية الغبار والأصوات المفزعة – كانت ابتسامته تشع على نحوٍ مهيبٍ حتى كأنها تحوي القطيع كله .. ثم جثا على ركبتيه رافعاً يدين ضارعتين إلى السماء معيداً الكلمات الحميمة المؤثرة نفسها ، التفت نحوي .. احتوى فرحي بابتسامته الودود فيما ظلت يمينه تمسد ظهور الحملان الصغيرة ، ويسراه تعلو مشيرة إلى جمع شوارد القطيع كي نعود به .

الآن كلما رأيت ابتسامته الطيبة تذكرت المشهد الاحتفالي للحملان الصغيرة ، وكلما رفع يديه نحو السماء تمثلت وجه أُمي

وأخوتي الصغار وتقافز الحملان الصغيرة ، وتأكد لي أن
هاتين اليدين الطاهرتين كلما أشهرهما صوب السماء تنداح أمامه
ربيعات الأمانى الطيبة باتصال ...

التلاشي

- في فناء المدرسة تهالك على مقعد خشبي منتظراً رنين الحصة الرابعة ليسكت نزيف الرنين الرهيب المتداعي في قلبه بجنون .. في وحدته ظل يبكي عمراً بارداً كشتاء قطبي ،خاوياً ككوخ مهجور .. تتلاشى أعوامه بلا طعم .. كل عام يحمل في قلبه تلميزة من تلميذاته .. يعشقها .. يدخلها مدن خيالاته وتصوراته وأحلامه .. يشرح لها ، يتأنق لأجلها .. مرتبه ينفقه على ملابس وعطور كي يبدو بهياً أمامها كفارس أحلام يترجل .. اعتاد عند تحضيره للدروس أن يستحضر وجهها معه .. يبتسم لوجهها الذي يطالعه في افتراق الصفحات متصوراً صوراً من السعادة يغشاها ضباب المستحيل ..

- في قلبه المجهد يحفظ دائماً تقاسيم وجهها وخصوصياتها وأشياءها الصغيرة .. في كل مرة يكتب لها في كراسته (خطك جميل .. أسلوبك جميل .. عباراتك جميلة ..) ومراراً حاول أن يكتب لها (إن عينيك جميلتان) لكنه كان يخشى أن يחדش وقاره على مذبح الوقاحة فيتراجع كسيراً مقتول الطموح ..

- في عينيه الشاحبتين المتعبتين يبدو كأنه يخفي حقيقةً ما ..
فهو يريد أن يقول لها شيئاً عن الحب الذي يشعر به ينهمر بداخله
كشلال الخيبة ، لكن أستاذيته تخلق هوةً سحيقةً بينه وبين أمانيه
البريئة .. تؤجل أشواقه التي لا تؤجل .. تفغر فمها بتحدٍ لالتهام
أسراب أمانيه الصغيرة .. تحصد سنوات عمره بنهمٍ موصول
الشراسة .

لأجلها يتأنق في شرحه .. في كل عام تلميذة جديدة تقرر
جرس الرنين في قلبه ، فالسنة الأخيرة بالمدرسة الإعدادية لا
تدعه يتابع مشواره في العشق الصامت ، فيقف مشدوهاً عند
أعتاب السنة التي تليها فلا يتأتى له الانتقال أبعد من ذلك لأن
مؤهله المتواضع لا يسمح له بالانطلاق أبعد من حدود أشواقه ..
هذا العام تهطل أشواقه باتصال غريب على خارطة أنثوية
أخرى.. تصنع أفكاره الشاردة المجنونة تضاريس فاتنة لها ..
تهمي نظراته على أعماق عينيها الساحرتين .. ينهل منهما
العذوبة والعذاب .. يسافر في بحارها الزرقاء في نزهة حلم منعش
لا يعود منها إلا بعد أن يقرر جرس نهاية الحصّة كئيباً سليباً في

كل شيء .. قلباً وعمراً وشباباً .. يتلاشى كتلاشيه من ذاكرة
تلميذاته بعد نجاحهن ..

- في كل حصة يجد نفسه على حافة البكاء .. يرفع يديه إلى
عينيه الدامعتين ليخفي علامات سقوطه ، يمسح دموعه بأصابعه
المرتعشة ارتعاش أوراق قلبه التي طالما أراد أن يكشف عنها
لأي امرأة .. أي تلميذة .. لايهمه من تكون المهم أن تحبه فلا
تتأديه (يا أستاذي) أو (إنك مثل أبي).. فلفظ الأبوة يمزقه
كخناجر مسمومة ، ويرديه مضرجاً بقسوة واقعه البليد ..

- حينما يشرح نصاً غزلياً يجهد نفسه كثيراً .. يفعل ..
يتحرك بعصبية مثيرة .. يتحدث حتى يتورم صوته ، محاولاً
إبهار تلميذاته لحملهن على تصديق الشعور ، بأنه صاحب
النص.. يحاول أن يوحي لهن بأنه محتاج للحب ، دون جدوى ..!
ففي كل عام كان يودع باقة عطرة من تلميذاته تفوح حياةً ونضارةً
وارتواءً .. ينجح ويترك المدرسة إلى مدرسة أخرى ، ومرحلة
أخرى ، لكنه لا يستطيع النجاح معهن أوبهن من مرحلة عزوبيته
التي لا تنتهي ..!

الصرة

- تأكدت من مغادرته البيت .. لملت ملابسها العتيقة وربطت عليها الصرة .. تسلفت خارجة .. بدت مصابة بالتلفت خوفاً أن يكتشف خروجها الجري .. تدرجت إلى حيث السوق القديمة .. ارتكنت زاوية منها عارضة بضاعتها لا أحد يلتفت إليها إلا حين تفضحها سعة ملعونة .. الأقدام تكاد تدعسها ، وملابسها الملقاة أمامها بفوضوية تثير الاشمئزاز الذي لا يغري أحداً بالشراء.. كانت عينها الوحيدة ترقب عين الشمس تحسباً من أن يشي بها المغيب .. وحين بدأت الشمس تخطو نحو الغروب لملت أشياءها وتناقلت عائدة ، تحاول الإسراع قبل أن يعود زوجها من عمله بالميناء فيعاقبها على تجاسرها بالخروج دون أذنه ..

- عند باب البيت المتهالك ألقت صرتها باحثة عن المفتاح.. لم تعثر عليه .. اختلطت التخمينات برأسها .. (.. هل نسيتَه بالسوق ؟.. أم سقط مني في الطريق .. لا .. أني لم أحمله معي أصلاً .. يا لفضيحتي .. إنه سيعاقبني .. سيضربني مثل كلب .. بل سيقتلني .. ماذا أقول له .. ؟) .

- أفزعتها يده الخشنة تطرق رأسها كمطرقة ، وصوته المرعد متسائلاً عن سبب وقوفها خارج البيت ..

ما الذى أخرجك من البيت أيتها السافلة .. هه .. ؟

التجأت بالصمت ..؟ أختبأت وراء نظرة متوسلة .. كان ثماً تفوح منه رائحة الخمر الرديئة .. لم تجد مبرراً غير اللجوء للحقيقة .. قررت أن تصارحه بالأمر ..

(.. لقد كنت .. كنت أحاول بيع بعض الملابس القديمة التي لا أحتاجها .. أنا لا ألبسها .. أخاف أن تقرضها الفئران .. أريد أن أساعدك على مصاريف البيت ..)

أنت تساعدينني أيتها الفاجرة .. ؟

وانهالت يداها الخشتان على رأسها ضرباً .. وظلت تكيل لتكومها الواهن المستسلم سيل الكلمات الموجعة ..

رفس الباب بحذائه الضخمة .. أمسكها من شعرها .. جرحها خلفه داخل البيت .. وانهاه عليها بحذائه الصلبة .. صرخت بوهنٍ .. كانت تحاول الاحتماء بالصرة ، فيما تعلقت به عينها النازفة متوسلة شفقةً مستحيلة من وجهه .. توسلت إليه

برحلة عذاب ثلاثين عاماً من الذل والانكسار قضتها معه متحملة
نزواته وعصبيته الدائمة ، وخمرته الرخيصة المقززة وسجائره
الرديئة ، وفقره وسيل الإهانات اليومية غير المبررة.

وقف عند الباب الداخلي متقطع الأنفاس .. بصق نحوها ..
خلع حذاءه .. رماها باليمنى فأصابته الصرة .. فيما أصابت
الأخرى رأسها..

(اخرجي أيتها العاهرة .. اذهبي حيث الجحيم الذي يليق
بشمطاء مثلك .. عليك اللعنة .. أتفوه..)

- دخل البيت فيما أخفى صرير الباب صراخها الواهي ..
ظلت الدماء تنزف من فمها وأنفها ، وثمة نشيح موجوع يصدر
عنها .. جرّت جسدها الناحل إلى خارج البيت في حين أعولت
الريح وأشدت المطر ..

في الصباح اكتشفها عمال النظافة متوسدة كومة ملابسها
البالية بلا أدنى حراك مثل أي صرة ..!!

الاحترق

إلى رفيق الاحتراق المستمر "مصطفى السعيطي"

أملًا في انطفاء يضيء كما ينبغي وينبغي ..

"... لا فائدة .. لا انفراج لأزمتي إلا ببيع هذه المكتبة الهرمة.. آه ٍ .. إنها حبلى بمئات الكتب الأثيرة .. طلاؤها البني ينبئ بتعاسة عتيقة .. يا الله كم جمعت بها من كتاب مدهش ثمين !!
تبأ لي كم أن جاحد حقير ..! ضلع تجاهها ، أصلح وضع نظارته على أرنبه أنفه .. قابله كتاب (البؤساء) شاغل نظره عنه بأن مسح أكداً الكتب المتراسة على المنضدة ، طالعها (حصاد الهشيم) زوى عنقه صوب النافذة ، كانت تمرر بعض النسيجات الواهنة .. عاد بصره الى المكتبة (متآكلة) أسرّ لنفسه بها .. مضيفاً (وكذلك أنا) مرّ بانأمله على بعض الكتب .. زرعت فى عينيه غيمة .. غيمتان .. سرق خطوة للوراء .. ردتها أخرى للأمام .. أردف منشداً لحناً حزيناً .. ترك الكتاب الذي بين يديه يسقط ، تهالك على المقعد .. قفز إلى عينيه ديوان (أسفار الحزن المضيئة) رفع كفه حيث نظارته .. سرح قليلاً .. لم يبتعد .. كانت عيناه تهددان صفحات الكتب التي ما برحت تستلقي على الأرفف ببهاء كما ينام

الصغار .. مال على الكتب محتضناً إياها فيما توسد ذراعه وطفق
يتمتم .. (لا فائدة ؛ يجب أن أبيعها ، فأولادي سيموتون جوعاً).
ثم برقت في ذهنه هذه العبارة (وجوعي أنا من يسده ؟) أوكل
للصمت الجواب .. قلب كتاباً عتيقاً ، تسمرت عيناه على عبارات
حزينة قرأها في ضجرٍ متذكراً صديقه الشاعر .. وتلك المجموعة
القصصية تذكاري وحيد باقٍ من صديقي الفنان المرحوم .. هذا
اسمه وخطه الأنيق وكلمات إهدائه الطيبة .. وهذا الكتاب القزحي
الجميل هدية من أول حبيبة سكنت القلب .. هذه حروف اسمها
بخط ردئ ، لكنه حميم على أية حال ، ربما أرادت أن تخبرني أن
زمننا ردئ أيضاً .. وهذا كتاب بالفرنسية من (عائشة) وهذا كل
ماتبقى من ذكريات الدراسة باليونان .. إنها عمري وأيامي .. إنها
حياتي وذكرياتي .. لا لن أبيع عمري .. تباً للنقود إنها لاتقود إلا
إلى المحرقة ..

- تهالك على المقعد من جديد.. وظل يحاسب نفسه.. ما
الحل؟.. لا فائدة سأبيعها.. ليست تكفي لتسديد كل الالتزامات!؟..
لكنه العيد يأتي تعيساً على غير عادته .. والأولاد وفرحة العيد

التي ينتظرون .. كيف السبيل للتحرر من ربقة الديون ؟ سأستدين مجدداً .. لا .. فمعنى ذلك أنني سأعود لأزمة أشد ..!!

هَبَّ واقفاً وهو يصيح (سأبيع كل شيء أما المكتبة فلا) سقطت نظارته.. انكسرت.. ركلها.. تسایل الدم من قدمه اليمنى، لم يهتم لذلك.. أسند رأسه على زجاج المكتبة .. أجهشت داخله إيقاعات أغنية يحفظها (من قال.. ان الحب تهزمه الرياح..؟)

عادت زوجته تخالس عذاباته .. تسكب في بالون الوجع بقلبه عباراتها الملحاحة (العيد .. الأطفال .. الملابس ..) قذفها بصمته .. لم تتوانَ عن حديثها المنغص..

- أسندته على مقعد من وخز عبارات زوجته الجارحة تخاثل اندهاشه وحيرته (لو احترق بيتنا لن نستطيع إطفاءه بسبب هذه الكتب اللعينة .. الأولاد .. العيد .. النقود..) ثمة عملية نسف تجري بداخله الآن .. زفر مراراً .. بكى .. كمه صار منديلاً .. (لو أن ماتصرفه على هذه الكتب الملعونة صرفته على البيت والأولاد لتحول بيتنا إلى جنة) .

قال لنفسه (وجنتي أنا من يرهاها ؟ بكى .. كمه الآخر صار
مندبلاً أيضاً.. تحشرج صوته وهو يناجي زجاج المكتبة المتشقق..
(ماجدوى ذلك والجوع يقتلني ونصف الشعب سيقتلنى أيضاً..؟).
فتح الباب السفلي للمكتبة .. بدت الكتب مترامية بفوضوية ..
أمسك أحدها .. قلبه بلطف هامس نفسه .. (هذا هدية من معلم اللغة
العربية حين اكتشف عندي هواية الإطلاع والقراءة ، وهذا
الديوان هدية من صديقي الشاعر ..لم تتوقف زوجته عن ترديد
عبارات الجارحة .. رماها بدمعة .. ظلت تكيل له الطلبات ..
صوب نظراته إليها.. ازدادت حدة وضراوة ..أراد أن يقذفها
بشيء أقسى .. تلمست يمينه كتاباً .. حدجه بنظرة .. طالعه العنوان
"نيرون"..أومض في ذهنه شيء كالاكتشاف .. تحسس جيبه ..
التقط علبة الثقاب .. أشعل عوداً.. صرخت فيه ماذا ستفعل ؟
مجنون.. ؟ هرع الأطفال حيث الصراخ .. تراجع هي
والأطفال.. تقدم نحو المكتبة .. دس العود طي الكتب .. تهالك
على المقعد.. تطاولت ألسنة اللهب .. صرخت زوجته ملء
ذعرها.. ضحك بهستيريا .. هرعت زوجته خارجاً .. وركض

الأطفال خلفها.. تحسس عينيه فيما ظلت السنة اللهب تلفح وجهه ..
قال لنفسه : " هكذا فعل نيرون .. !! "

في لحظة وداع

- فيما كانت العتمة تعلق آخر خيوط الضوء معلنةً عن ليل ضارب في السواد ، كادت أنفاسه الطيبة تخفق فيما يشبه الحشجة.. نظرت إليه كان وجهه رائعاً كوجوه الأطفال النائمين.. في عينه أغوار، وثمة دمة متحجرة يمنعها الحياء من أن تعلن عن نفسها .. بالرغم من آثار المرض الذي ظل يفته فتاً حتى صيره كقشرة برتقالة متييسة إلا أن وجهه ظل يسيل طيبة ووداً كما عهدته .. حين دخلت عليه آخر مرة .. كان وجهه الطيب ينطق بأمرٍ ما .. اختفيت خلف جهشة مكتومة .. رغم سني الصغيرة .. إلا أنني حاولت أن أبقى أمامه رجلاً صامداً كما كان يتمناني .. ورغم وقفتي المسترجلة ، فكتبي المدرسية تسالت من بين يدي لتسقط على رجله ، فانهمرت بقبلاتي على رأسه الأشيب ووجهه الطيب الوضئ ألثمه كيفما تفعل الأمهات .

كانت يداه المنهكتان تحاولان إحاطتي بحنانهما دونما جدوى فالمرض أرهاقهما أكثر مما ينبغي .. اختلطت دموعي بدمعته التي ظلت سنوات طويلة تعلن المكابرة والتمنع .. مضيت في بكاء حزين فلم أفق إلا ويد أحدهم تنزرع في ياقة معطفي وتنتشليني إلى

حيث ارتميت على قدميه .. كانتا متصلبتين كألواح سفينة قديمة ،
احتضنت ركبتيه .. كانت رجله اليمنى مرتكزة على اليسرى في
تعرج راسمة علامة استفهام كبيرة .

- لم أدرِ ما حدث لي بعد ذلك كل ما أذكره أنني استيقظت
آخر الليل .. تسلفت من بين النائمين لعلني أحظى باختلاسة لوجهه
الطيب الودود .. كانت الغرفة مطفأة وأنفاسه تعلو وتهبط في
صوت يشبه ارتطام الموجات بصخور الشاطئ .. تسلفت صوب
فراشه ، داست رجلي يد أحد النائمين فتنهد مستمراً في نومه ..
دهست آخر .. لم يتحرك .. احتبست أنفاسي .. امتدت يدي تبحث
عن مفتاح الضوء .. أشعلته .. هب النائمون فزعاً .. اختفيت خلف
انحناءة .. المذنب .. صُوبت الأصوات المزمجرة نحوي " أطفئ
الضوء ودع جدك ينام ..! "

- تخيلات نظراته المتعبة تشرئب إلى وجهي ، ويديه
تتحركان بغية عناقي .. لكن الأصوات المحشوة بالنعاس أطفأت
أمنياتنا معاً ، والضوء كذلك .

لم يدعهم بكائي يناموا .. لم تستطع جدتي إسكاتي .. أشعر
أن شيئاً عظيماً يحدث الآن .. !؟ اندلعت من بين يديها
المواسيتين..

اقتحمت نومهم وسكونه.. أشعلت الضوء فأيقظتهم
بفضاضة.. كادوا يضربونني كانت روحه تحاول الصعود
للسماء.. ظل ماداً يديه إلى شيئاً ما.. ورجلاه ترسلان علامة
استفهام غريبة .. !!

وحين كانت مواشير الضوء تكتسح آخر فلول العتمة ، كانت
روحه الطيبة تصعد إلى السماء، فيما ظلت نظراته معلقة بالسقف
وكأنها تودعه .. وثمة فتى يعتصره حزن فظيع في زاوية منزل
قديم...!!

حارس المخزن الصغير

- لم يكد يلحظ وصولي المتعثر حتى طلب مني في عجل أن أحرس المخزن ريثما يعود .. استغربت طلبه ، إذ كيف يسلمني حراسة مخزن تموين المدينة كلها وأنا الصغير ابن العاشرة .. أردت أن أبلغه خوفي ورفضني ..لم أجده . ارتحت لفكرة الحراسة .. تأبطت عزيمة كاذبة .. تصنعت شجاعة مفتعلة .. ظلت أتبخر مقلداً مشية جدي أثناء نوبات حراسته .. أول شيء فعلته التهمت عشاءه ، إذ كيف لحارس يحرس مخزن تموين المدينة اليوم كله أن يبات ساهراً يقتله الجوع ؟ إن عاد جدي فسأخبره بالحقيقة ..حقيقة أنني حارس جائع يجب أن يتقوى على حراسة المخزن ..فزعت حين أربعتني الشمس تلم أطرافها وتلف عليها ملائتها الأرجوانية عازمة الرحيل ، تأخر جدي وداهمتني الهواجس من كل خوف وفزع ، حين خطر ببالي اللصوص الذين يداهمون المخازن لسرقة ما بها من تموين كما أخبرني جدي .. ماذا سأصنع معهم .. ؟ أربعتني اصطفاق أجنحة حمامة اتخذت عشاءاً لها داخل زوايا المخزن الكبير .. وقع نظري على بندقية جدي معلقة بأعلى المخزن ، بذلت جهوداً مضاعفة لإنزالها ..

أنزلتها .. . دسست بها إطلاقتين .. خطرت لي فكرة أن أصطاد الحمامة .. صوبت البندقية نحو عشاها .. لكني تراجعته حين تذكرت حكاية جدتي عن الحمامة البريئة المقدسة.. عدلت عن الأمر ، قلت لنفسي لأجرب إذن إطلاقاً في الهواء ولم أكن قد حولت فوهة البندقية المصوبة عن الحمامة بعد .. . تجاسرت يدي على الزناد ، واحد ، اثنان .. ثلاث .. وانطلقت الطلقة فيما ارتيمت على أحد الأكياس مفزوعاً ، وبين أحضائي سقطت الحمامة مضرجة بالدماء بينما فراخها الصغار دفنوا بعشاها المتناثر على الأرض .. بكيت لهذه المأساة .. تناوبت على حراستي أفكار سوداء .. البندقية .. الحمامة .. اللصوص .. تأخر جدي والظلام الذي لف عمامته السوداء على مدخل المخزن ، فجأة أفقت من انشداهي على وقع خطوات تقترب ، لعله جدي تقمصت صفة الشجاعة ورباطة الجأش .. أردت أن أفاجئه بشجاعتي لكن عيني القادم الناريتين لم تكونا عيني جدي .. أردت أن أصرخ .. سيسرقني .. سيقتلني .. لا .. خبّاني ذعري ، احتमित بالصمت .. تجلط أمامي .. تلصص على المكان .. تسلقته بنظرة .. بدا لي كزجاجة مقلوبة .. خنقت ضحكتي .. بل اطفأها خوفي .. جر

قدميه الضخمتين داخل المخزن .. أمسك بالكيس الذي يواريني وعيناه تتلفتان في ذعر .. سمعت أنفاسه المضطربة كبحر هائج .. عدت لأسرق نظرةً لوجهه الكالح .. جذب الكيس إليه فنزعت يدي من على الكيس في هلع .. تساقط عرقه على جبهتي كان بوسعه أن يسمع نبضي ، وكنت بضيقني أموت .. أدغمت خوفي بصمتي.. فتشت عن ريقني .. جذب الكيس إليه .. تركت يدي .. لم يرني.. أسند الكيس على بطنه .. بدا وكأن له بطنين .. كدت أن أضحك حين خطر لي أنه حامل بعدة توائم .. بدرت منه سعة فلذت بتكومي المفزوع .. كدت أن أنفجر ضحكاً حين بدا لي أنه سيقتل التوائم الذين ببطنه فأخفيت بخوفي وتراجعي .. لم يرني إذ تحالف معي ظلام المكان وتكوري بين ثنايا الأكياس .. وضع كيساً آخر على بطنه ، خرج مغادراً المخزن فيما أضاف كيساً ثالثاً إلى سابقيهما فبدت الأكياس على بطنه كما يتعلق صغار الكنغر بأهمهم ..

- لكنني حارس جبان .. ! استفزني شعور ما .. وجدي الذي سيعاقبني بشدة مثلما سيعاقبونه بقسوة ، ماذا أقول له ؟ ماذا بوسعي أن أفعل لجبل اللحم هذا ؟ وفيما أنا غارق في تفكيري وقع

نظري على الحمامة الهامدة .. فتذكرت البندقية هرعت إليها
احتضنتها .. أفزعتني خطواته تقتحم المخزن .. تراجع مختبئاً
خلف الباب .. تأبط أربعة أكياس وخرج ، تتبعته لاهث الأنفاس
وضعت إطلاقاً في البندقية ، نظرت إليه راجعاً نحو سيارته ..
كان ذا جسم غليظ من أعلى بينما نصفه السفلي رفيع وكأنه
مضغوط بقوة من أسفله .. خنقت ضحكتي فغالبتني .. اهتزت
البندقية بيدي ودون أن أدري انطلقت الرصاصة فسقط مغشياً
عليه ولم استيقظ إلا ورأسي مسند على فخذ جدي ليخبرني بأنني
قتلت كبير مسؤولي شركة التموين والذي كان يرسل جدي في
مهمات مفتعلة ليعود من ورائه لسرقة المخزن !!

عملاق

- كان ثمة طفل صغير يراقص السنين بلطف ريثما تتخلص قدماه الوحلتان من قيد السقوط .. علمته أمه كيف يتهجى حروف الوقوف والثبات الرصين .

قبل أن ينام كانت تلقنه معنى كلمة (الوطن) ثم تسلمه لأحلامه الطفولية مبتسمة في وجهه (تمسي على الوطن .. تصبح على الوطن).

- وظل الوطن يهطل في داخله أمطاراً من حب وحنين ، حين أطلّ كتكوت الصباح برأسه من قشرة الليل المتشقة حدث إشراق غريب .. كانت الجموع تحمله على الأعناق مبتسماً وكأنه يستمتع بحكاية جميلة من حكايا أمه .. التجأت الشمس إلى وجهه الوضى وأشرق من ابتسامته الراضية .. بدا للجميع عملاقاً مهيباً ، في الصباح سأل الأصدقاء عنه أمه ، قالت لهم : " إنه صديقكم الذي تعرفون لقد تأبط وطناً فكبر " .. في المساء فوجئت الدنيا بأن الأطفال في بقعة ما من العالم يكبرون بسرعة غريبة وفي ظرف رمية حجر .. !!

كسرة الخبز

رمى قطعة الخبز واسترسل باكياً.. حاولت أن تقنعه بأن
يأكل الخبز .. أصّر على امتناعه وبكائه .. أشارت بإصبعها نحو
القمر .. تتبع بنظره حركة إصبعها وظل منشدها كأنه يرى القمر
لأول مرة .. هداً صراخه حتى توقف تماماً .. دنا منها ثم سألها
بصوت خفيض :

- أهذا هو الله يا أمي ..؟

- لا يا صغيري .. إن الله كبير جداً .. هو أكبر من كل
الأشياء فهو الذي خلقها جميعها ..

- أذن هذا تلفزيون .. ؟

- ضحكت .. ضمته إليها .. قبلته ثم قالت باسمه :

ربما ..

أزاح يدها التي حجبت عنه القمر وتساءل من جديد ..؟

- وما هذا السواد الذي على وجه القمر .. ؟

هذه امرأة كفرت بالنعمة ففعلت فعلاً منكراً حتى علقها الله

بالقمر...

ولماذا علّقها الله بالقمر يا أمي ..؟

- حتى لا يرتكب أحد منكراً مثلها ..

وماذا فعلت حتى علّقها الله بالقمر ؟

إنها فعلت شيئاً شنيعاً بكسرة خبز ؟

- نظر إليها ..ثم إلى القمر وانحنى على كسرة الخبز التي

عفرت بالتراب .. سحب عليها كم قميصه .. نفخها ثم غيب أنفه

بين شطريها !!!

العصفور

- داهمته ممسكاً عصفوراً صغيراً كسيح الجناحين ..
- صرخت فيه معنفاً: (من أين جئت به ..؟
- وجدته ملقياً على الأرض؟؟
- أنت تكذب..
- والله لا أكذب ..
- كيف وجدته أذن ؟
- كنت أمشى فلقيته ..
- لماذا لم تدعه يطير ويعود إلى عشه ..؟
- لقد أحضرته إلى البيت لأطلقه ..
- ولماذا لم تطلقه في الهواء خارجاً ..
- خفت أن يضيع .. فأين سينام بعدما جاء الليل ..؟
- لن يضيع سيعود إلى أهله ..
- لا .. أرأيت إن اختطفك طير كبير وطار بك بعيداً ثم رماك
- لفراخه لتنهش رأسك وبطنك ويديك .. فهل يرضيك هذا ..؟ ثم أنه

صغير ، ولو علم بك أهله من الطيور لخطفوك وقتلوك!!..
التصق بي.. تحسس يديه وبطنه.. أرخى قبضته عن
العصفور رافعاً يده عالياً.. انتفض العصفور متخلصاً من قبضته..
راقبه وهو يرفرف محاولاً الطيران .. ابتسم ثم أضاف :
((حرام قتل العصافير ..أليس كذلك ..)) ؟

المغني الصغير

- انطرح على ظهره مسلماً رأسه لأخته الكبرى تداعبه ..
نظر إلى وجهه بالمرآة وانطلق يغني .. سألته أخته بتعجب عما
يفعله ..؟

قال : أنه مطرب يغني بالتلفزيون ..
استغربت منه هذه القفزة اللامعقولة ..سألته قائلة : لكن
صوتك نشاز..؟

- وماعنى نشاز ..؟
- يعني غليظ وغير جميل ..
- سيكون جميلاً ..
غفلت عنه فاستمر فى غناؤه الناشز .. انهمك فيه مبصراً
وجهه فى المرآة حتى غدا يقول كلاماً غريباً.. عادت إليه
بالسؤال..

- أهذا كلام يقوله المطربون ..؟
من بين ترديده الساذج قال : سيقولونه ..

وعاد لغناؤه .. هزت رأسها عجباً وانشغلت عنه مجدداً ..
توقف قليلاً ثم أدنى المرأة من وجهه الطفولي وطفق يقدم نفسه
كمطرب كبير .

قاطعته : " لكن المطربين الكبار لا يقدمون أنفسهم ، لابد لهم
من مزيح أو يقدمهم " .
- هذا لا يهم ..

عادت لانشغالها باسمه .. رجع لغناؤه مصدقاً ، ثم مالبت أن
قلب المرأة فبدا له سواد ظهرها .. أحنى رأسه على فخذها في
صمت .. نظرت إليه .. كان مغمض العينين .. تسبح سنواته السبع
في فضاءات حالمة مدهشة .. بلطف داعبت وجهه .. رفعه إليها
بادرته : هه .. لماذا سكت مطربنا الكبير ..؟

- لقد قفل التلفزيون .. ألا ترين ..؟ وأشار إلى سواد المرأة ..
- هزت رأسها ضاحكة وانحنى عليه بقبلة حنون .. عادت
لانشغالها فيما علا صوته مغنياً من جديد ، ثم توقف فجأة وسألها :
أليس صوتي جميلاً الآن ؟

عن المؤلف

- جمعة الفاخري
- شاعرٌ وقاصٌّ وصحفيٌّ وباحثٌ في المأثور الشعبيّ.
- مواليد : 1966م . اجدابيا / ليبيا .
- رئيس تحرير صحيفة المأثور الشعبي .
- مستشار ثقافيّ للرّابطة العربيّة للقصة القصيرة جدًا ، وهو عضو مؤسس ونشط بها.

المؤلفات الأدبيّة:

- 1 (صفرٌ على شمالِ الحبِّ " مجموعة قصصيّة " .
- 2 (رمادُ السّنواتِ المحترقة " مجموعة قصصيّة " .
- 3 (امرأةٌ متراميةُ الأطرافِ مجموعة قصصيّة .
- 4 (إعرافاتٌ شرقيّ معاصر . ديوان شعر .
- 5 (حَدَثٌ في مثلِ هذا القلبِ . ديوان شعر .
- 6 (شيءٌ من وهجِ القلبِ . "تأملاتٌ في الأدبِ والحُبِّ والحياة" .
- 7 (عناقُ ظلالٍ مراوغةٍ . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 8 (توقيعاتٌ على وَجْنةِ القمرِ . ديوان شعر .
- 9 (تقمّصتني امرأة . " ديوان شعر " .

- 10 (التَّربُّصُ بوجهِ القمرِ . مجموعة قصصية .
- 11 (رفيف أسئلةٍ أخرى . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 12 (ربيعٌ على جناحي فراشة . خطراتٌ أدبية .
- 13 (حبيباتي . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 14 (أسيرٌ بقلبٍ ملتفتٍ . شذراتٌ جمالية .
- 15 (مراسيمُ اقترافِ وطنٍ . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 16 (ظلالٌ ومرايا . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 17 (عطرُ الشمسِ . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 18 (قَهْقَهةٌ شهيةٌ . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 19 (عصيرُ ثرثرةٍ . قصصٌ قصيرةٌ جدًا .
- 20 (وطنُ الفوارسِ . ديوان شعرٍ .
- 21 (اشتعالاتُ العتابِ الأخيرِ . ديوان شعرٍ .
- 22 (وطنٌ في القلبِ " أغاريدُ في عشقِ الوطنِ "

التَّكْرِيَمَاتُ/

- منحته الخرطوم عاصمة الثقافة العربية 2005 (درع الثقافة العربية) .

-كرّمته صحيفة أخبار اجدابيا بدرع التّميّز ..

- كُرِّمَ ملتقى القصة القصيرة جدًا بحلب في دوراته (8/7/6/5).
- كُرِّمَ ملتقى القصة القصيرة بالرقّة - سوريا ، في الملتقى العربي للقصة القصيرة 2009م.
- كُرِّمَ ملتقى الناظور للقصة القصيرة جدًا في دوراته الثلاث الأولى .
- كُرِّمَته مكتبة الإسكندرية على هامش مؤتمرها الأول للقصة القصيرة جدًا 2013م
- كُرِّمَته الرابطة العربية للقص القصيرة جدًا بدرع نظير مساهماته في نشر القصة القصيرة جدًا. 2013م
- كُرِّمَته نادي الاتحاد الرياضي بدرع سنة 2010 م
- اختاره موقع بلال الثقافي بالبيضاء شخصية العام الثقافية بليبيا 2010 م.
- كُرِّمَته فرع المؤسسة العامة للثقافة بالمنطقة الوسطى 2010.
- أهدى إليه فرع كشافة اجدابيا درعًا تذكاريّة في ذكرى تأسيس الحركة الكشفية الخمسين ، 2009م.
- فضلاً عن تكريماتٍ أخرى من عددٍ كبيرٍ من مؤسساتٍ ثقافيةٍ وتربويةٍ ، ومهرجاناتٍ وملتقياتٍ أدبيةٍ وفكريةٍ محليةٍ وعربيةٍ.

الدراسات والأبحاث /

أُجريت على إبداعه القصصي والشعري دراسات أكاديمية عدّة في جامعات ليبية مختلفة ، فضلاً عن دراسات وأبحاث أدبية أخرى..

الترجمات /

- تُرجمت بعض قصائده وقصصه للغة الإنكليزية ، وتُرجم ديوانه (اعترافات شرقيّ معاصر) للفرنسية. ومجموعته (سحابة مسك) للأمازيغية ، كما تُرجمت بعض نصوصه الأدبية للغة السويدية.
- له عشرون مخطوطاً أدبياً جاهزة للطبع .

صدر له في حمارتك العرجا للنشر الإلكتروني:

قصص قصيرة جدا

- 1- عناقُ ظلالٍ مراوغة: 100 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 2- رفيفُ أسئلةٍ أخرى: 100 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 3- حبيباتي: 52 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 4- عطرُ الشمس: 85 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 5- سحابة مسك: 50 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 6- قهقهة شهية: 76 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.
- 7- عصيرُ ثرثرة: 79 قصة قصيرة جدا، مايو 2015.

قصص قصيرة

- 1- التربُّص بوجه القمر. مايو 2015.
- 2- امرأة مترامية الأطراف. مايو 2015.
- 3- صفرٌ على شمال الحب. مايو 2015.

صدر في هذه السلسلة

- 1- جمال الجزيري: أولاد الحرام. مايو 2015.
- 2- عصام الشريف: ساعة عصاري. مايو 2015.
- 3- جمعة الفاخري: التربُّص بوجه القمر. مايو 2015.
- 4- محمد علي علي. الضياع. مايو 2015.
- 5- محمد السيد الغتوري: سيلفي. مايو 2015.
- 6- جمال الجزيري: ينشرح ويختفي للأبد. مايو 2015.
- 7- جمعة الفاخري: امرأة مترامية الأطراف. مايو 2015.
- 8- جمال الجزيري: دليل جريمته في يدك. مايو 2015.
- 9- جمعة الفاخري: صفر على شمال الحب. مايو 2015.

فهرس

العنوان	ص
سالم العبّار: تقديم	3
صفر على شمال الحب	9
الاختناق عند جبال الملح	26
الحجاب	41
أربع عيون	46
موعد المقابلة	50
طفلان	53
الطرقات	60
رجل البحر	63
بنت الشمس	65
الوخزات	67
معلاً	71
حدث ليلة عرس	76
البطاقة الأخيرة	80
وجه في مرآة	85
في مهب ابتسامة	88
التلاشي	91
الصرة	94
الاحتراق	97
في لحظة وداع	102
حارس المخزن الصغير	105
عملاق	109
كسرة الخبز	110
العصفور	112
المغني الصغير	114
عن المؤلف	116
صدر في هذه السلسلة	121